



الكلمة الثالثة

تأليف أليخاندر و كاسونا



مسرحية

تأليف أليخاندررو كاسونا
ترجمة علي أشقر

الكلمة الثالثة

(مسرحية في ثلاثة فصول)

من منشورات اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٧

الحقوق كلفت
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

تصميم الغلاف للفنان ، أنور دجا

نبذة عن حياة أليخاندرو كاسونا

اسمه وكنيته الحقيقيان: أليخاندرو رودريغيز ألبارس. ولد في بيسويو (منطقة استورياس) في ٢٣ آذار ١٩٠٣. ^(١) وهو في في مدريد في ١٧ أيلول ١٩٦٥. درس الفلسفة والآداب في جامعتي أوبيدو ومرسية. في عام ١٩٢٢ انتسب إلى مدرسة المعلمين العليا. واختياره لهذا الدراسة كان اقتداءً بوالديه. فقد كانا، هما، معلمين أيضاً. في عام ١٩٢٨، توجه إلى قرية بآيه دي آران معلماً في مدرسة ابتدائية. وخير ما يصنعه المرء في هذه القرية الجميلة من بلاد البيرنيه التأمل والمطالعة. وبدأ كاسونا هناك رسالته المسرحية بدافع من التسلية، فأسس مسرحاً للأطفال سماه "العصفورة الملونة". مسرح قام فيه ممثلون صغار بتمثيل مواضيع تقليدية بلهجة محلية. في ذلك التاريخ (١٩٢٩) أنهى من كتابه /الحورية الخارجة من الماء/. ولم تعرض على المسرح إلا بعد خمس سنوات (١٩٣٤) بعد أن نال عليها جائزة لوبي دي بيغا وهي أكبر جائزة تمنح لعمل مسرحي في أسبانيا. ونال جائزة الأدب الوطنية عن كتابه "مختارات من الأساطير"، وقد كتبه بغرض جلب انتباه الأطفال إلى خير ما في تلك الأساطير وأخصبها.

(١) -نكر عارسيالوبيث في تاريخ الأديب الإسباني أن ولادته كانت عام ١٩٠٠
-المترجم-

في عام ١٩٣١، كلفته إدارة المهمات التربوية في وزارة التعليم العام، بإدارة "مسرح الشعب"، الموجه لتطوير برنامج هام وواسع لصالح المسرح؛ هدفه إيصال الأعمال المسرحية إلى أبسط القرى المحرومة من معرفة أحد أنبل الأجناس الأدبية.

عن تلك الأعوام الحافلة بالعمل والبهجة، كتب كاسونا: "خلال الأعوام الخمسة التي كان لي حظ قيادة تلك العصابة الطلابية، طفنا أكثر من ثلاثمائة قرية في قطر دائرة يمتد من سانبريا حتى مانتشا؛ ومن آراغون حتى إيسترامادورا. دائرة نقطة مركزها تقع في القفر القشتالي. قرى رأتنا نصل إلى عقر دورها وساحاتها وأفنياتها، وتنصب خشباتها في الهواء الطلق، ونمثل ما أعدناه بعناية تجاه دهشة أهالي القرية.

إذا كنت أفرح بعمل جميل قمت به في حياتي، فقد كان ذلك العمل. وإذا كنت تعلمت شيئاً جيداً عن الشعب وعن المسرح، فهناك تعلمته. ثلاثمائة تمثيلية، أمام طلاب وجمهور ذي معرفة ولغة بدائيين هي تجربة مُعلّمة."

ومنذ ١٩٣٤، وبدافع من النجاح الفائق الذي لقيته /الحورية الخارجة من الماء/ تفرغ كاسونا تفرغاً كاملاً لتطوير قدراته الدرامية الهائلة. في عام ١٩٣٧ غادر إسبانيا منفياً سياسياً؛ وطاف خلال عامين: فرنسا، المكسيك، وبويرتوريكو، فنزويلا وغيرها، ثم استقر في الأرجنتين. ونال شهرة عالمية تضعه في مقدمة كتاب المسرح المعاصرين. عاد إلى إسبانيا في أوائل الستينات وتوفي في مدريد عام ١٩٦٥.



الكلمة الثالثة

(مسرحية في ثلاثة فصول)

تأليف أليخاندر و كاسونا

ترجمة وتقديم علي أشقر

شخصيات المسرحية

- ١- مارغدا
- ٢- العمدة ماتيلده
- ٣- العمدة أنخلينا.
- ٤- دوينالو
- ٥- خوسيه فينا
- ٦- بابلو
- ٧- السيد رولدان
- ٨- الأستاذ
- ٩- إسويو.



مقدمة

تميز مسرح كاسونا (بالفانتازيا) الشعرية الساحرة، واغترابه عن عالم الواقع جزئياً. لكن فيه مسرحيات واقعية متميزة أيضاً. ومنها هذه المسرحية، التي يمكن تلخيصها على النحو التالي: "والد بابلو سلدانيا كان نبياً ثرياً ومتقفاً وصياداً لا يجارى. وكان يحب زوجته حباً جماً. رزقا ولداً واحداً هو بابلو. ذات يوم فرّت الزوجة من بيتها مع عشيقها، فأصيب الرجل بإحباط كبير، وأقسم على أن يربي ابنه بتماس مباشر مع الطبيعة، مبتعداً بذلك عن عالم الحضارة المليء بالمخازي وعن الحب الممزوج بالخداع. بعد عشرين عاماً يتوفي الأب، ويعود الابن إلى حمى العمّتين ماتيلدا وأنخلينا اللتين انشغلتا بإعادة دمج هذا الطفل - الرجل بالمجتمع بتعليمه القراءة والكتابة، وبمقاومة محاولة خاله رولدان مدير أعمال البيت وابنه المحامي خوليو، سرقة ثروة الشاب الهائلة. وبعد إخفاق أربعة معلمين في ترويضه، استدعت العمّتان الدكتورة مرغريتا لوخان المعلمة الشابة الجميلة، التي استطاعت بلطفها

والتي بها إقناعه بضرورة نعلم القراءة والكتابة. وتنشأ علاقة حب بينهما حاول خوليو إجهاضها بإرغام مارغا على الاعتراف لابلو بعلاقتها السابقة معه مستغلاً وحدتها وفقرها أثناء الدرس الجامعية، أو يتولّى هو نفسه أمر إبلاغه.

تعترف مارغا لبابلو بسر تلك العلاقة، فيُصعق لهذا النبأ، ويثور ويستشاط غضباً، لكن، حين وقعت مارغا مغشياً عليها، أخذ، وقد ظنّها ميتة، يتفجّر بجمل تفيض بالحب والعاطفة والاعتذار. وهناك تنبثق حول مارغا وبابلو الكلمة الثالثة ممثلة بالحب، إلى جانب القوتين الأخريين اللامتطورتين: الله والموت".

موضوع هذه المسرحية الجميلة بسيط. لكنه أثار منذ عرضها الأول جدلاً حول مغزاها وسوابقها. ونورد هنا رسالة شخصية من المؤلف رداً على أحد المعلقين الذي كتب، أنا لم يدرك مقصدها: "ذكر المعلقون بيجماليون مسندين من هذا الواقف، السعيد بوجود معلمة في المسرحية، وتلميذ أكبر منها. وبعضهم أوحى على حياء باسم إميل. (وقد ذكر روسوفي المسرحية) وبعضهم كان أجبراً أنذكر كاندديد لفولتير، ليبينوا مرة واحدة أنهم لم يفهموا شيئاً من المسرحية، وأنهم لم يقرؤوا كاندديد. فبطلي المسرحية، دون أن يكون قرأ كتاباً واحداً، بينما نشأ في أسرة فقيرة، أملاً متحذقة بدين، أحضان كتب الدكتور

بنغالوس. كان غرض فولتير مناهضة مفهوم ليبينترز الفلسفي المتفائل. ولم ير أحد سوابق بطلي الإسبانية، فلم ينتبهوا إلى الفيلسوف المتعلم ذاتياً لمواطننا العربي الغرناطي ابن الطفيل. ولا إلى ابنه المباشر "أندرينيو" الذي يحتل الفصول الأولى من الـ "كريتيكون" لفراثيان^(٢) ولا تجسده الدرامي الأسمى في الفصل الأول من مسرحية "الحياة حلم"^(٣) وقد ذكرت عمداً في المسرحية أيضاً وبالإشارة إلى العنوان فاته لم يلحظ أحد أيضاً أن الكلمات الثلاث الكبرى. الله والموت والحب، تلتقي ليس لفظياً وإنما يعبر عنها بحضور درامي، لحظة الختام حول المفعد الذي ترقد فيه مارغا مغشياً عليها. لا يهتمنى أن يُبحث لأبطالي عن سوابق مألوفة - وقد ذكرتها بوضوح

(٢) - (١٦٠١-١٦٥٨) كلف إسباني. ولد في بيلمونيه (سرفسطه). وانضم إلى جمعيه الأخوة اليموعيين. واحد من أعظم كتاب العصر الذهبي الإسباني. ا ح بوصوح انحطاط الإمبريالية الإنسانية حلقياً ومادياً. سادت أعماله بصره منشائمة للناس والحياة أُنزلت في شونهور بعدئذ. مات منعياً بعد أن نسرص لعقوبات صارمة لنشره كتابه "الكرينيكون" في ٣ أجزاء دون إذن رؤسائه، "المترجم"

(٣) - رانحة كالدرون باركا (١٦٠٠-١٦٨١) باسيليو ملك بولندة يلقي بابنه باكراً في سجن حسية نحقق نبوة نقول إنه ميغنصبه العرلى. صلته بالعام الخارجي انتصرت على خدام بعد سلتين جيء بالفتى مخدراً إلى البلاط وراح ينصرف خبط عشواء. رُد إلى السجن مرة أخرى. لكن الشعب يحلم بالأمر فيثور ويطلق الأسير ويعزل الملك وينصب ابنه مكانه. وإذ نذكر هذا مرارة السجن ومعالته فيه يعفو عن والده.

شديد وعن رضا- لكن، ما لا أغفره هو أن يخطئ
المعلق هذا الخطأ البين بعنوان منزله، ومدينته... بل
وبلده"

لكن الناقد الإسباني فديكو كارلوس روبليس يلحّ
على الصلة القائمة بين بطل المسرحية بابلو وبين أندرينيو
لفراثيان: فأندرينيو هو رجل الطبيعة. وحين علمه أستاذه
كريتيلو اللغة، تذكر أنه استيقظ ذات يوم فوجد نفسه في
قاع كهف مظلم بين الضواري. وقد قامت إحداها
بارضاعه لبنها؛ ثم تغذى بعد ذلك على الثمار وبقياس
الطعام الذي كانت تجلبه لجرائها. نشأ أندرينيو دون وعي.
وحين أضاء جوانبه نور العقل علم كم هو مختلف عنها؛
وازدحمت الأسئلة في ذهنه: من أنا؟ ومن أوجدني؟
ولماذا؟ وذات يوم تشققت جدران الكهف بفعل زلزال
أرضي، واستطاع أندرينيو أن يهرب من بين بعض
الشقوق. وحين رأى نور الشمس ملئ دهشة... وكل ما
كان يكتشفه كان يغمره بالنشوة. واستيقظ في نفسه
الإحساس بنظام الطبيعة المنسجم وضرورة وجود الخالق.
لكنه حين يصل ومعلمه إلى بعض المرافئ، اصطدما
بالعالم المتحضر وانتابهما الشك: أين يجدان السعادة، في
المجتمع؟ أم في العزلة؟

واسمح لنفسي أن أخالف السيد الناقد في نظريته. نعم
توجد بعض التشابه بين بطلي العاملين. لكن الفروق بينهما

واضحة جلية. فأندرينيو نشأ في عزلة تامة عن المجتمع والحياة البشرية. إذ نشأ في كهف وبين الوحوش دون معرفة باللغة. أما بابلو، فقد نشأ بعيداً عن الحضارة، وليس في عزلة تامة عن المجتمع، وإنما في حلقة ضيقة منه. لأنه قضى السنوات الأربع الأولى ضمن أسرة.

وبعد ذلك بصحبة أبيه في الجبل. وكان يعرف اللغة. وهي معطى اجتماعي، والمفتاح الأهم لكل تقدّم. وعلمه أبوه كثيراً من المهارات كالصيد وركوب الحصان، وكان يعرف أسماء الأشياء والحيوانات والنجوم؛ فلم تساوره دهشة إزاءها؛ ولم يتعين عليه أن يعيد اكتشافها، فقد كان مغموراً بها من كل جانب وبإفراط وفوق ذلك، نقل إليه أبوه إراثاً اجتماعياً ثقيلًا هو علاقة الرجل بالمرأة من جانبها السلبي. وأهم من ذلك كله، ما سكت عنه هذا الأب. وما كان ينقص بابلو سوى شيء من الصقل والتهديب والتعليم حتى يدخل دائرة الحياة الاجتماعية. أمثال هذا الإنسان (المعزول) يعثر عليه في كل آن، في رؤوس الجبال، وفي جوف الصحارى، وقصة علي بن الجهم ليست بعيدة عن هذا الإطار. فالأساس الافتراضي لكاسونا يختلف عن الافتراضات الأخرى.

كان هدف مؤلفي حي بن يقظان، وأندرينيو إثارة تساؤلات فلسفية عقلية منطقية وصولاً إلى أن وراء هذه الصنعة المتعددة، صانعاً واحداً خالقاً حسب المفهوم

الإسلامي أو محرّكاً أول حسب المفهوم الأرسطي. كاسونا لم يثر أي تساؤل من هذا النوع. أدرك بابلو وهو في الغابة معنى الموت و"لمس" وجود الله بتجربة ذاتية بسيطة، أو بنوع من الحدس أقرب ما يكون إلى التجربة الصوفية. وهذه سمة من سمات التصوف الإسباني عموماً والتصوف الإسلامي في مراحل المبكرة قبل أن يتحول إلى نظام معرفي. فالأساس المعرفي عند كاسونا يختلف عن سابقه.

أما القوة الأخرى من القوى الثلاث المتعالية في الحياة، وهي الحب، فلم يستطع بابلو إدراك معناها في الغابة، وإن كان يلمح ظلالها البعيدة ورموزها الوحشية الغريزية وقت هياج الحيوانات في الربيع. أما الحب كعلاقة تتجاوز الانفعال إلى العاطفة، والغريزة وإلى ما هو إنساني، تتطلب طرفاً آخر لا يتوفر إلا في وسط اجتماعي مهما كان صغيراً أو مهما كان حظه من التحضر. فانهزام الحب، أو الحب المهزوم، الذي دفع بوالد بابلو إلى الفرار بابنه إلى أحضان العزلة في الجبل والغابة، ليس مبرراً لإدارة ظهرنا إلى الآخرين فهناك وجه آخر للحب يقوم على الأريحية والعطاء، وهو جدير بأن نبحث عنه، وسنعثر عليه ولو تلطخ ببعض غبار الأرض.

كاسونا إذن، يرد بطله إلى المجتمع. ففي المجتمع تكتمل حقيقة وجوده؛ وتتنظم دائرة مقومات مسرح كاسونا

الفائمة على الترابط بين الأبطال الثلاثة: الله والموت والحب. لأن الإنسان -كما يقول الناقد م.ك. روباييس- "ما دام يحيا بالحب ومن أجل الحب ينسى الموت، كما أسباب الخلود واستحقاقاته. وبالحد، وبالميت يقترب من الله... وكاسونا كإسباني فذ يعلم أن الدوافع الملحة على تفكير الإسبان الكبار في كل عصر كانت وسواس الخضوع للحب وللموت وفاء بالعهد مع الله"

هناك وجه آخر تمتاز به هذه المسرحية، هو هذا الفيض من الرحمة والشفقة، ولم يكن اختيار كاسونا لتعليم البطل امرأة عبثاً. فقد أخفق المعلمون السابقون الذكور في تعليمه. لكن هذه المعلمة الساحرة أثرت البقاء شفقة عليه وعلى لفظة العمتين وقلقهما المشروع. واستطاعت النهوض بهذه المهمة بكفاءة. شفقتها هي نقيض قسوة الأم. وشفقته هو عليها حين أصيبت بالإغماء نقيض فظاظة الأب وخشونته.

كاسونا كاتب متفائل دائماً؛ والخير عنده، كما هو الحال عند كاتب الدراما الإغريق، ينتصر دائماً، لكنه، في المقابل، ليس خيراً مطلقاً، ولا خالصاً من التوائب، وإنما يعلق به كثير من نواحي الضعف البشري، ويكون الخيار بينه وبين شر مستطير. "وبعض الشر أهون من بعض؟"

تبقى كلمة أخيرة، كاسونا في هذه المسرحية وفي غيرها لا ينسى لحظة واحدة أنه يكتب "للمسح" وقد قيل

عن مسرحه: "لا شيء فيه يفيض عن الحاجة ولا شيء
ينقص عنها؟ فكل شيء، مهما بدا بسيطاً، يوظف بدقة.
وخيطة الحوار الجميل الرشيق لا ينقطع أبداً. والفكاهة
الجميلة والطرفة الحلوة تنتثر هنا وهناك. تبدأ المسرحية
بكلمة وتنتهي بكلمة، وهي الكلمة الثالثة: الحب.



الفصل الأول

خارج وأمام بيت ريفي قديم ذي خلفية من الجبال التي تطل على سطح من قرميد. منضدة متينة عليها كتب، وسلة فيها شغل. بعض المقاعد البسيطة. ربما عريش كرمة، أو غليسين أو شجرة جوز. حديقة صغيرة مغروسة بالأزهار، لكن، دون أن ننسى أننا أمام بيت معيشة وليس بيتاً للاصطياف. إلى اليسار سور حجري فوقه شوك أو أغصان، فيه باب حديدي يطل على الطريق. وهو بالتأكيد ليس طريقاً عاماً للعربات. إلى اليمين. يستطيل البيت ويضيع في جسم أعلى له مخرج مفتوح على الوادي والنهر. صباح يوم مشمس المسرح خال يسمع صوت العمة ماتيلده التي تخرج منادية. العمة ماتيلده وكذلك العمة أنخليتا اللتان ستعرفهما فوراً فيهما من (الفاتاريا) أكثر مما فيهما من العقل. هما امرأتان ذودتا من الوحدة والعزوبة.

طريقة لبسهما التي لا تتبدل أبداً، ربما جعلتهما تبدوان من طراز "عتيق" قليلاً أكثر مما هي في الواقع، لأننا إذا نحينا المجاملة، لا ينبغي لنا أن نفرض لهما غير أربعين عاماً وثيف، ماتيلده، وهي أكثر تسلطاً، تميل إلى الخطابة. أما أنخليتا، وهي أكثر حذراً، فتتميل إلى الموسيقى، نموذجان محبتان لهما مظهر مروحة وبياض اليوم عائلي. لكن المؤلف الذوي يشعر نحوهما

بحطف محتوم، يحظر حظراً تاماً أن تتحوّلا إلى نموذجين مضحكين. أما إوسوبيو فهو لا يزعم إلا أن يكون عاملاً رصيناً في حديقة مسرح. العمل ليس له وقت ولا مكان محدّدان. لكنّ مخرجاً ذكياً سيضعه بالتأكيد في محيط أشبه ما يكون بشمالي إسبانيا وفي زمن أقرب ما يكون إلى البسمة والسلام.

اليسار واليمين هما يسار المشاهد ويمينه

ماتيلده وإوسوبيو .

ماتيلده : إوسوبيو! ... إوسوبيو

إوسوبيو : حاضر، حاضر، يا سيدتي (يدخل حاملاً أغصاناً من اللوز المزهرة. رأسه حاسر ومصوب بمنديل).

ماتيلده : لكن، ألا تزال هنا؟ القطار سيصل بين لحظة وأخرى.

إوسوبيو : لدينا فائض من الوقت.

ماتيلده : فائض؟ ساعة غرفة الطعام تشير إلى العاشرة وعشرين دقيقة.

إوسوبيو : لكنّ ساعتني تشير إلى العاشرة إلا خمس دقائق. إذن الساعة هي العاشرة والرّبع تماماً.

ماتيلده : أبدو لك وقتاً فائضاً العاشرة والرّبع، لتدرك قطار العاشرة واثنين وعشرين؟

إوسوبيو : على رسلك قطار العاشرة وخمس وعشرين لا يصل أبداً حتّى الواحدة إلا خمساً وعشرين

دقيقة.

ماتيلده : وماذا لو خطر له أن وصل اليوم بالذات
في الوقت المحدد؟

إوسوبيو : لا خطر في ذلك. طوال حياتي، لا أذخر
حالة واحدة من الدقة لهذا القطار. ثلاثون
عاماً وهو يصل كل يوم متأخراً المدة نفسها.

ماتيلده : على كل حال، ليس لدينا وقت نضيعه. هل
أعددت العربية؟

إوسوبيو : هي في الباب.

ماتيلده : وهذه الزهور البيضاء؟ أنا طلبت منك أغصاناً
خضراً.

إوسوبيو : حقاً، السيدة طلبت أغصاناً وخضراً، والأنسة
فالت زهور أو بيضاً.

ماتيلده : هذه المرة، سماح. لكن، لا تنسى أتى أنا
الأمرة الناهية في هذا البيت، وأنا فقط.

(ينسى أغصان اللوز في مزهريّة^(٤)) من الفخار قرب
(النافذة)

إوسوبيو : أفضل أن أعيش بسلام مع الاثنين مادام ذلك

(٤) - حسب المعجم الوسيط. وعاء من خزف ونسجه بوضع فيه الزهور ونحوه
الزينة.

ممكناً.

ماتيلده : أسلوب رديء يا إوسوبيو. من يذهب باتجاه اليمين، يقذفه بالحجارة أصحاب الشمال؛ ومن يتجه صوب اليسار يقذفه بالحجارة أصحاب اليمين. ومن يقف في الوسط يُرجم من الجهتين معاً.

إوسوبيو : هذا ما كان يقوله السيد، هذه مأساة عصرنا.

ماتيلده : على ذكر الحجارة، لماذا تعصب رأسك؟

إوسوبيو : (ينزع المنديل) أمر بسيط. إنها الأنسة أنخلينا.

ماتيلده : عجباً! أرمئك أختي بحجر؟

إوسوبيو : بل أسقطت أصيصاً فوق رأسي من الشرفة.

ماتيلده : يا لها من طفلة! كانت المسكينة عصبية دائماً إلى حد ما. لكنها بوصول هذه الانسة صارت لا تطاق.

إوسوبيو : لو كنت مكانك لما تركتها وحيدة في يوم كهذا

اليوم. أولاً: تركت ماء الحمام يجري حتى أغرق

الدرج، ثم وضعت المايونيز في علف الدجاج...

(تسمع في الداخل دندنة جد خافتة بفالس: "غابات

هيينا") والآن، ألا يذكرك بشيء ما هذا الفالس؟

ماتيلده : إنه شتراوسي لحن فيه قدر من النشاز لكنه

شترأوس هل من شيء خاص فيه؟

أوسوبيو : رائحة قويّة تشي بالكارثة. فيوم صعدت لتربط ساعة الحائط في غرفة الطعام، سقطت الساعة فوقها. ماذا كانت تغني؟ شتراوس. وحين ألفت باروداً أسود في المدفأة ظناً منها أنه فحم؟ شتراوس.

ماتيلده : (هتفة على نحو مشروع) لكن، أين تريد أن ينتهي بها. المطاف؟ ماذا تعمل الآن الأنسة أنخلينا؟

أوسوبيو : قلت إنها تنظّف الأواني القديمة.

ماتيلده : الأواني الإيزابيلاية؟ يا إلهي! (تصبح بعصبية) أنخلينا! (تسمع في الداخل قرعة آنية. تسدّ ماتيلده أذنيها). أبقى شيء سليماً؟

أنخلينا : أهدئي يا عزيزتي. لا شيء إلا الخوف.

ماتيلده : أليست الآنية الإيزابيلاية؟

أنخلينا : بل الآنية الفضية. سأجمعها خلال لحظة واحدة وأضعها في الخزانة.

ماتيلده : مع الآنية البلورية؟ كلا! من فضلك لا تلمسي اليوم شيئاً. اخرجي رافعة يديك إلى الأعلى! (أنخلينا تفتح الباب) وأنت، هيا إلى المحطة فوراً. أتتذكر الاسم؟

أوسوبيو : دكتورة مرغريتا لوخان.

ماتيلده : اهتمّ بها كأنها أنا نفسي. لكن، إن سألتك سؤالاً

حساساً، أنت تعلم: سكوت مطلق.

إوسوبيو : "لا تهتمي. السكوت هو الشيء الوحيد الذي أتقنه. تعلمته من السيد، (يخرج بعد قليل تسمع أجراس عربة خيل تبتعد. تدخل أنخلينا. تلبس الآن ودائماً ما تلبسه أختها تماماً)

ماتيلده وأنخلينا

ماتيلده : لكن، أنخلينا، يابنيتي، متى سنتعلمين ضبط أعصابك؟

أنخلينا : إنهما هاتان اليدان السعيدتان حين أغضب لا أدري ماذا يجري لي. أحسّ كأنهما امتلأتا بالجمال.

ماتيلده : ها هو مشغل التريكو، فهو بالنسبة إليك مهدى
أنخلينا : هذه المرة "لا أعتقد" فالأمر أخطر مما ينبغي (تجلس وتنسج بعصبية)

ماتيلده : المنتظر دائماً، أشد رهبة من الواصل انسجي وفكري بشيء آخر.

أنخلينا : لا أستطيع يا ماتيلده، لا أستطيع كل دقيقة تمرّ هي أسوأ مما قبلها. (تترك الشغل) أتدريين ماذا سيحدث حين تصل هذه الفتاة البائسة، وتعلم سبب استدعائنا لها؟

ماتيلده : دون تهويل. أولاً. هي ليست فتاة بائسة، بل

دكتورة وتعرف الحياة. وثانياً، ما ستلقاه هنا
يمكن أن يكون غريباً، لكنه ليس مخجلاً وليس
فيه ما يثير الفزع.

أنخلينا : آه أنتخيلين أنها ستظل هادئة وكان الأمر
طبيعي جداً؟

ماتيلده : لم أقل هذا أيضاً. واضح أن الشعور الأول
سيكون شعوراً بالخوف، بل قد تحاول الخروج
راكضة، لكن القلب سيفرض في النهاية وجوده.
حينئذ ستكون مستعدة لكل شيء.

أنخلينا : هذه أوهاامك. أقسم لك، ما إن تعلم الحقيقة حتى
تترك هذا البيت خلال دقيقة واحدة.

ماتيلده : واضح أنك لا تعرفينها جيداً.

أنخلينا : وأنت، أتعرفينها؟

ماتيلده : تكفيني رسالتها فيها يتبين أنها ذات روح قوية.

أنخلينا : الآخرون كانوا أيضاً أثرياء، ودكاترة. لكن
أحداً منهم لم يصمد أسبوعاً واحداً.

ماتيلده : الآخرون كانوا رجالاً مساكين. أما هذه فامرأة.

أنخلينا : أسوأ إنها لمؤامرة غير لائقة، إن نأتي بها
مخدوعة هكذا دون أن ننذرنا بالخطر

ماتيلده : كفاك! اتخذت قراري، ولا أقبل مناقشات.

أنخلينا : ألا يحق لي أن أبدي رأيي؟

- ماتيلده : أنت الأخت الصغرى.
 أنخلينا : صغرى؟
 ماتيلده : أصغر مني.
 أنخلينا : لا أزال كذلك؟ كان هذا مقبولاً أيام المدرسة
 حين كنت في التاسعة. وأنت في الرابعة عشرة
 لكن، ما هي خمسة أعوام في سننا المتقدمة؟
 ماتيلده : (دون أن تنتشي)، ولو كانت خمس دقائق! أنا
 الأخت الكبرى؛ ولا يوجد ما يكفي من العدس
 في الدنيا لشراء حقّي في أولويته الابن البكر.^(٥)
 أنخلينا : (تنهض وترفع صوتها في محاولة تمرّد) أتطلعين
 عليّ الآن بالأناجيل؟
 ماتيلده : (أقوى من صوت أختها) إنه العهد القديم.
 أنخلينا : آه!... إذًا، لا بأس! (تجلس وتنسج من جديد.
 تعود ماتيلده إلى لهجتها الطبيعية).
 ماتيلده : المسألة ليست مسألة سنين فقط! بإضافة إلى
 العمر، هناك التجربة لصالحك أنت أنسة.
 أنخلينا : وأنت، ألسنت كذلك؟
 ماتيلده : أنا أيضاً، لكن بشكل آخر أمام الله وأمام

(٥) -إشارة إلى قصة عيسو وأخيه يعقوب وأم هذا الأخير رقيقة، حين احتالا عليه للتخلي عن حقه في أولوية الابن البكر بإطعمته عدساً حين كان جائعاً جوعاً شرساً - (المترجم)

القانون، أنا سيّدة ولي شريك شرعي.

أنخلينا : باه ! زواج بالإمكان. لكن البحر كان يفصل بينكما. مات العريس بعد ثمانية أيام دون أن يحظى؟ برويتك مرّة واحدة. إذا كنت تسمين هذا تجربة..

ماتيلده : لمَ لا؟ إذا كان خطيبي لم يترك لي تجربة في الزواج، فقد ترك لي على الأقل تجربة في الترمّل.

أنخلينا : ودخلاً جميلاً تتعزّين به. من جهة الزواج كان كارثة. أما من جهة التجارة... أسبوع واحد من الحزن وأربعون عاماً من السرور.

ماتيلده : أنخلينا!

أنخلينا : معذرة (تنسج). صمت قصير يسمع في غرفة الطعام دقة جرس. أنخلينا تنظر فزعة نحو الداخل، وتنسج بمزيد من السرعة (العاشرة والنصف! إنها الدقائق العشر الأخيرة الهادئة. خلال زمن قصير: ثرارام، ثرارام، بام! بام! بام!

ماتيلده : بأعلى، ما تحبّين الذنب ليس ذنب شتراوس. ألا تريد أن تتخلي عنه مرّة واحدة؟

أنخلينا : وأنت، ألا تستطيعين أن تتراجعى مرة واحدة فقط؟ فكري بهذه المرأة البائسة!

ماتيلده : إني أفكر تحديداً! (تخرج رسالة من صدرها وتضع نظارتها) هنا تجدينها بالكامل أمامك: إرادة لا تنتني، وعاطفة سمحة، وطفولة مأساوية وميل للتحرر دون خوف من أي خطر. حقاً، هي الشخص الذي كنا نفتقر إليه!

أنخلينا : لكن، من أين تستخرجين ذلك كله؟ لقد قرأت هذه الرسالة عشرين مرة، فلا أذكر أنني وجدت فيها شيئاً مشابهاً.

ماتيلده : أنت ترين ما تقوله الكلمات فقط. المهم ما تقوله الحروف.

أنخلينا : آه! حقاً: معرفة الشخص من قراءة خطّه، مرة أخرى!

ماتيلده : لا تقولي ذلك بهذه اللهجة المتعالية: قراءة الخط علم.

أنخلينا : أحقاً؟ أريبي: أين الإرادة؟ (تدع شغلها وتدرس الرسالة معاً)

ماتيلده : هنا انظري إلى هذه السطور التي ترتفع في نهايتها كالعاصفة.

أنخلينا : على الأرجح، كانت تطوي الورقة حين الكتابة. وأين السماح؟

ماتيلده : انظري بإمعان إلى هذا التباعد بين الخطوط.

امرأة تكتب على هذا الشكل، هي من النوع الذي يعطي كل ما عنده. كل شيء أولاً شيء.

أنخلينا : وهذا الحرف المنحني يعني لك شيئاً أيضاً؟

ماتيلده : ثلاثون درجة إلى اليمين. إنها العاطفة. كل منطقة (الأنا) تتدفق باتجاه منطقة الأنت.

أنخلينا : حسب هذه النظرة، هذا جميل حقاً. لكنه قد يكون خطراً في هذه الحالة.

ماتيلده : لا تخشي شيئاً. مهما تكن العاطفة قوية، روح التضحية أقوى منها. فلو حكم عليها بأن يلقى بها في حفرة الأسود، لوجدتها غير هيابة ولو مَزقت إرباً إرباً.

أنخلينا : (متأثرة) فهمت. "فابيولا وشهداء المسيحية".

ماتيلده : بالضبط.

أنخلينا : أما ما لا أراد في أي مكان فهو مأساة الطفولة.

ماتيلده : لكن، هل أنت عمياء؟ ألا ترين هذه الحروف المنقسمة إلى شطرين؟ أبواها مطلقان؛ حياتها كلها كانت صراعاً يمزقها بين حبها لأبيها وحبها لأمها.

أنخلينا : لكن هذا رهيب، يا ماتيلده!

ماتيلده : رهيب، يا أنخلينا! أتفهمين الآن لماذا اخترتها دون سواها؟ امرأة من هذا النوع يمكنها وحدها

إنقاذ هذا البيت.

أنخلينا : وماذا لو أخطأت في قراءة خطها؟

ماتيلده : مستحيل. انظري إلى هذا التوقيع الضخم دون
تذليل. "مار غريتا" انظري ملياً إلى قائمة حرف
(T) كأنها عصا وانظري إلى هذه النقطة فوق
(I) كيف هي عالية كالصلاة. إذا كنت لأعرف
شيئاً عن هذه المرأة، فسوف أكتفي بهذه القائمة
وهذه النقطة كي أسلمها زمام أمري ونا مغمضة
العينين.

أنخلينا : (متهتة) أسأل الله ألا نندم!

ماتيلده : أتشكّين بي؟

أنخلينا : أتذكر حين كنتِ تقرئين بخطوط كفي. كنتِ
تشخصين لي دائماً زواجاً سعيداً، وبيتاً ملائماً
بالأبناء، وحياة مفعمة بالأسفار. وانظري
النتيجة: لا سفرأ واحداً قمت به؛ ثم من يكاد
يكون ابن أخ؛ وما أنا عانس منذ البداية وإلى
الأبد الأبد.

ماتيلده : (جادة. ترفع نظارتها، وتحفظ الرسالة) أنا لم
أخطئ أبداً خطوط كفك هي التي أخطأت.

(يدخل السيد رولدان مدير أعمال البيت. ثطب محترف،
تعلوه «سفرة أصحاب الملفات والأوراق».)

ماتيلده، أنخلينا ورولدان

رولدان : (ضوضاء كبيرة) هذا غير ممكن. هذا غير ممكن.
ممكن. هذا غير ممكن. قولاً لي هذا غير ممكن.

ماتيلده : (عدائية منذ اللحظة الأولى) لا أعلم إلى ما تشير.
لكن، إن كان يبدو لك الأمر مستحيلاً، فاطمننّ
إلى أنه حقيقي.

رولدان : إذًا، الأمر مؤكد؟ امرأة مجهولة تدخل هذا
البيت؟

أنخلينا : ولا تبال. أختي تعرفها كانت زميلتها في
المدرسة.

رولدان : لكن، هل فقدتما الحسّ بالمسؤولية؟ أنبّهكما أحد
إلى وضع هذه السيّدة؟

ماتيلده : آنسة!

رولدان : آنسة؟ آه، الفضيحة إذًا، أسوأ بكثير، أيبدو لكما
لائق أن تعرضا شيئاً كهذا على آنسة؟

ماتيلده : لا أظن أنك ستلقي علينا دروساً في الأخلاق.

رولدان : دروس في الأخلاق، كلا! لكن، لو استشر
ثمانى لأسديت لكما نصيحة ثمينة.

ماتيلده : عبت. هذا شأن عائلي: أنت مدير أعمال فقط.
منذ الآن، كل واحد في موضعه.

أنخلينا : أحسنت، يا ماتيلده!

- ماتيلده : شكراً يا أنخلينا.
- رولدان : (بتراجع) لا بأس! أهـي على الأقل امرأة محترمة؟
- أنخلينا : هذا يتوقف على ما تسميه أنت احتراماً.
- رولدان : عمرها، مثلاً.
- ماتيلده : من هذه الجهة، نحن أكبر سنّاً منها
- رولدان : تجربة مهنية؟
- ماتيلده : هي دكتورة بأربعة ألقاب.
- رولدان : قوة الطبع، قوة الإرادة؟
- أنخلينا : لو أطلعت جيّداً على خط حرف T لما تفوهت بالحقاقت.
- ماتيلده : أحسنت جداً، يا أنخلينا!
- رولدان : إنني أرى ما أراه دائماً. أنتما لا تتفقان على شيء إلا عليّ. لكن، حين يتعلّق الأمر بحياة إنسان، فهذا ما لا يمكن اللعب به. هذه الحالة تتطلّب عقد مجلس العائلة.
- ماتيلده : مجلس العائلة عقد، وتمّت الموافقة بالأكثرية.
- رولدان : أي مجلس؟
- ماتيلده : نحن الاثنينان، حين نتناقش أنا وأختي، الأكثرية تصوّت لي.
- رولدان : آخر الأمر، هذا شأنكما! كما أرى، الذين في

هذا البيت مرض معدي.

أنخلينا : (قافزة) حذار هنا، ماذا تعني بهذه الكلمات
الملنوية؟

ماتيلده : (تعمل عمل أختها) أتريد أن تلمح إلى أن أخانا
مات مجنوناً؟

رولدان : (يتراجع) لست من يستطيع إثبات ذلك. لكنني لا
أظن إنساناً طبيعياً يمكن أن يصنع بابنه ما
صنعه هو.

ماتيلده : (تتقدم بحزم) كفى إذا كان أخي عانى ماعاناه،
فأنت خير من يعلم من كان السبب. هل أنا
بحاجة لأذكرك باسم تلك المرأة؟

أنخلينا : من فضلك، دعينا من الحكايات القديمة. ما
يهمنا الآن فقط هو هذا الطفل البريء.

ماتيلده : وهو كذلك ! الطفل ابننا؛ ولا أسمح لأحد أن
يتدخل في حياته أكثر منا.

رولدان : وأنا. أليس لي أي حق؟ أولاً وأخيراً، إن كنتما
أختي الأب، فأنا أخ الأم.

ماتيلده : (حاسمة) ولا كلمة أخرى! العائلة الوحيدة هنا
هي عائلتنا. أسمع جيداً؟ عائلتنا (بحقد) مهما يكن
مؤلماً لك، يُفضل عدم التحدث عن عائلة الأم.
مفهوم؟

رولدان : (منكمشاً) مفهوم لديكما هنا برميل من البارو
والآن تجهدان في جلب عود ثقاب قريباً منـ
عظيم! من جهتي، أنا أغسل يدي من هذا الأمر
ماتيلده : (بحفاف) بذلك تحسن صنعاً مدير أعمال ويد
ملوثتان، ليس أمراً سليماً.
رولدان : لحظة يا سيدي! لا أقبل الغمز، كلا! حسابات
نظيفة، وهي تحت تصرفك!
(تسمع أجراس تقترب)
أنخلينا : سكوت... عود الثقاب! أعني العربية.
رولدان : أهـي؟
أنخلينا : هي. (تنسج بسرعة)
رولدان : في هذه الحالة، افترض أن وجودي غير مفيد
بتاتا. أليس كذلك؟
ماتيلده : أهنئك. هي أعظم فكرة أبدعتها خلال الأربعين
عاماً الأخيرة.
رولدان : أشكرك. لطفك ضاف دائماً. (الأجراس تزد
اقترباً)
أنخلينا : أستطيع الانسحاب أنا أيضاً؟
ماتيلده : أنت، أبداً! جاءت اللحظة الكبرى! (تمد قبضتي
باتجاه الباب الحديدي، وترفع بصرها إلى السماء.
إلهي لتكون إرادتك) (تلفتت بعنف إلى أخنها التمس

ضاعت مرة أخرى في "غابات فيينا" دون موسيقى،
يا أنخلينا! توقفي! (تتوقف الأجراس أمام الباب يدخل
أوسوبيو حاملاً الأمتعة ومتقدماً مرغريتا: هي فتاة
جامعية ذات جمال غرض تلبس بأبسط أناقة طبيعية،
بالتأكيد قرأت كتباً كثيرة، ولا تجربة لها في الحياة
لكنها تملك من الذكاء ما يكفي لكيلا يلاحظ عليها
بوضوح أي من الحالتين).

المذكورون ومرغريتا وإوسوبيو.

إوسوبيو : (مشيراً على شكل غامض) السيدة... السيدة
الأخرى... السيد.

مارغا : صباح الخير جميعاً.

ماتيلده : أهلاً بك في هذا المنزل، يا آنسة لوخان. أختي.
أنخلينا.

مارغا : تشرفت.

ماتيلده : السيد رولدان. مدير أعمال البيت.

رولدان : بكل سرور.

ماتيلده : أما أنا، فأرى عبثاً تقديم نفسي. أسمحين لي
أن أنظر إليك عن قرب شديد.

مارغا : ولم لا ؟ (تتقدم. ماتيلده تضع نظارتها وتتأملها
طويلاً بصمت. تقطر حاجبها.)

ماتيلده : غريب! منذ اسبوع وأنا بانتظارك لم أتخيلك
أبداً هكذا .

- مارغا : هكذا، كيف؟
- ماتيلده : هكذا... على جانب كبير من الشباب
والجاذبية... أنت فتاة حقيقية.
- مارغا : هذا لطف منك، على كل حال ، أمل ألا يكون
هذا عائقاً لي في عملي.
- ماتيلده : من يدري! كنت أتخيلك أيضاً نشيطة وذات
إرادة. لكن ليس على هذا القدر الكبير.
- مارغا : معذرة! هل قمت بشيء مستهجن؟
- ماتيلده : كنت أنظر إليك مواجهة بكل قواي، ولم أستطع
أن أجعلك تغضّين من بصرك لحظة واحدة.
- مارغا : هذه مأثرة أنت جديرة بها يا سيدتي. كنت
تنظرين في عيني وأنا كنت أنظر في عينيك. ولم
أجد فيهما إلا قلباً كبيراً.
- ماتيلده : شكراً. أتريدين أن تمدي لي يدك؟
- مارغا : بكل سرور. (تشدّ عليها).
- ماتيلده : لا بأس! ربما كنت قوية قليلاً. لكن الأمر ليس
سيئاً (تبتسم أخيراً) يبدو لي أننا سنكون صديقتين
رائعين.
- مارغا : من جهتي، بدءاً من هذه الساعة.
- أنخلينا : (لأوسوبو الذي يقف ساكناً) ماذا نتظر؟ لماذا لا
تصعد بمتاع الأنسة؟

أوسوبيو : ظننت أن لا لزوم لذلك. أم الأفضل ألا أظل ساكناً. فلأي شيء أسير صاعداً نازلاً؟

ماتيلده : أطلب أحد رأيك؟ اصعد به فوراً!

أوسوبيو : اعذروني. (يدخل البيت مع المتاع)

رولدان : لعل أوسوبيو على حق. دبلوماسياً، بدأ المشهد بداية حسنة جداً. لكن يسرني أن أرى النهاية.

ماتيلده : لا أفكر أن أضحك هذا السرور. أليس لديك شيء عاجل تعمله في مكتبك؟

رولدان : اسمحن لي بنصيحة على الأقل. (ينظر إلى ساعته) أنسة لوخان إنها الحادية عشرة إلا خمس دقائق. في الحادية عشرة وأربعين دقيقة يمر قطار العودة لا تتواني عن السفر فيه. (يخرج بأدب. ثم ممكن من اليمين حيث يفترض وجود جناح. مرغريتا تنتظر إليه يخرج مدهوشة)

مارغا : لا يبدو السيد المدير متفائلاً جداً.

ماتيلده : لا ينبغي الاهتمام به. هو من هؤلاء الذين، لفرط عملهم في الأعداد، يظنون أن اثنين زائد اثنين في الحياة، هي دائماً أربعة. رجل مسكين! أتريدين أن تجلسي؟

مارغا : إن لم يبد لكما مسيئاً، يسرني أن أتعرف على الطفل أولاً.

- ماتيلده : بعدئذ. ينبغي أن أطرح عليك أسئلة، ربما بدت لك غريبة، لكن. أرجو أن تجيبيني دون تردد.
- مارغا : قولي. (تجلس العمتان أولاً، ثم مارغا قبالتها) كأنهما في امتحان تخرج ماتيلده الرسالة وتنتظر إلى مرغريتا بتركيذ،
- ماتيلده : من تجيبين أكثر. أباك أم أمك؟
- مارغا : كيف؟
- ماتيلده : أجيبني دون أن تفكري بذلك.
- مارغا : في الواقع هذه مسألة لم أطرحها على نفسي أبداً.
- أنخلينا : أبداً؟ ولا حين افترقا بالطلاق؟
- مارغا : لكن، من ذكر الطلاق؟ أبواي أحبا بعضهما بشغف، وماتا معاً حين كنت صيرة.
- ماتيلده : غير ممكن!
- مارغا : بإمكانك أن أحلف على ذلك.
- أنخلينا : لا حاجة لذلك، كلمتك تكفي.
- ماتيلده : لا أفهم الخطأ هنا. لكن لنقبل به. سؤال آخر هام. لو أنك عشت في ظل امبراطورية نيرون، وحكم عليك بأن يلقي بك بين الأسود، ماذا يكون موقفك؟
- مارغا : لا أفهم... أهى لعبة؟

- أنخلينا : أجيبني، من فضلك.
- ماتيلده : تخيلي المشهد: هنا المدرج الوثني المتعطش للدم المسيحي.
- أنخلينا : وأنت هنا راحة على الرمل بحلتك البيضاء..
- ماتيلده : وتفتح الأبواب... وتتقدم الأسود. وماذا كنت ستفعلين؟
- مارغا : لا أدري... افترض ما كنتم ستفعلانه أنتم في هذه الحالة.
- ماتيلده : (بحماسة شهيد) ما أحسن قولك!
- مارغا : كنت سأجري وأنا أصرخ كمجنونة. أليس كذلك؟
- ماتيلده : (تقف مهتمة) لا، هذا لا ! لا يحق لك أن تفعلني بي هكذا يا أنسة.
- مارغا : (تنهض فلكة أيضاً) معذرة يا سيدتي. أخذت أشتبّه بوجود سوء فهم. أنت السيدة ماتيلده سلدانيا؟
- ماتيلده : هي نفسها.
- مارغا : المرأة التي كتبت لي عارضة عليّ عملاً في هذا البيت؟
- ماتيلده : بالضبط. وهذا هو جوابك!
- مارغا : إذًا، لماذا هذه الأسئلة المستحيلة؟ جئت إلى هنا

- بمهمة الاضطلاع بتربية طفل يتيم أليس كذلك؟
- أنخلينا : وهو كذلك.
- مارغا : أين الطفل؟
- ماتيلده : سيأتي بعد قليل، صعد إلى الجبل حاملاً
بندقيته.
- مارغا : (تقف مذعورة) حاملاً بندقية؟ وحده؟
- أنخلينا : برفقة برنار وفيرمين.
- مارغا : لا بأس عليه هكذا. خادمان؟
- أنخلينا : بل كلبان.
- مارغا : لكن هذا غير ممكن. هل صرت أنا مجنونة؟
(تنظر إلى الجانبين وتراجع) أم أنتما؟
- ماتيلده : اهدئي... ولا نحن!
- مارغا : أريدو لكما حسناً أن تدعا طفلاً يحمل بندقية ؟
- ماتيلده : أبوه كان صياداً كبيراً، وقد عوّده على
استعمال البارود منذ نعومة أظفاره. من هذه
الجهة لا يوجد خطر.
- أنخلينا : الخطورة بدأت منذ صاريتيماً. عليك أن
تساعدينا على إنقاذ هذه الحياة البريئة.
- مارغا : إنقاذ حياته؟ لكن لست دكتورة في الطب؛ أنا
مجرد معلمة.
- ماتيلده : من هنا يجب أن نبدأ. أولاً يجب تعليمه القراءة

والكتابة. ثم تأتي الكتب. وبعد ذلك كل هذا اللغز الذي نسميه الحياة.

مارغا : أهو متخلف إلى هذا الحد؟

أنخلينا : إنه صفحة بيضاء. نشأ في الجبل. هو مانسميه طفلاً طبيعياً. أتفهمين؟

(مارغا تهدأ. وتعود فتجلس)

مارغا : أفهم يا سيدتي، أفهم. الآن، فهمت سبب هذا الانزواء في الريف والانطواء على سر. طفل طبيعي! أهو ابنك؟

أنخلينا : (تحمر خجلاً) أنا أنسة!

مارغا : معذرة. ابنك؟

ماتيلده : ولا هو ابني. إني وإن كنت أرمّل، فأنا أنسة أيضاً.

مارغا : لا أفهم!

أنخلينا : هي أمور الحياة. أختي تزوجت لثمانية أيام. لكنها لم تمارس الزواج.

مارغا : باختصاره أيمكنني أن أعرف ابن من هذا الابن الطبيعي؟

ماتيلده : ومن قال لك إنه ابن طبيعي؟

مارغا : إن لم يكن فهمي قاصراً، أنتما هذه الساعة ذاتها.

ماتيلده : أختي قالت "طبيعي" كمقابل لـ "صنعي" طبيعي
يعني ثمرة الطبيعة. واضح؟

مارغا : (نافذة الصبر) موافقة يا سيدتي. لكن مهما يكن
طبيعياً، فلم تعثروا عليه في شجرة. لا بد من أنه
كان له أب وأم.

أنخلينا : أي، نعم! أبوه كان أخانا المسكين.

مارغا : والأم؟

ماتيلده : أمن الضروري أن نتحدث عنها؟

مارغا : كلا! إن كنتما تفضلان السكوت. أميئة هي
أيضاً؟

ماتيلده : ميئة أيضاً. إذ نولى البحر أمر عقابها.

أنخلينا : إنه مؤلم؛ لكن يجب ألا نخفي عنك ذلك. كانت
امرأة منحطة.

مارغا : كفى! أنا أعرف كيف أحترم أسرار العائلة.

ماتيلده : شكراً.

مارغا : وما مشكلة الطفل التي تشغلكما؟

أنخلينا : أولاً، سبق أن قلنا لك ذلك: الجهل إلّام.

مارغا : نعم، نعم. أعرف قراءة وكتابة ثم كتب. حتى
هنا كل شيء عادي وبعدئذ؟

ماتيلده : بعدئذ، الطبع. لا تتخلي ذلك! هو عاصٍ
وخطر كالشيطان نفسه. إنه متمرّد.

مارغا : لا يهم. أنا معتادة على هذا. أكان له معلّمون قبلي؟

أنخلينا : ثلاثة رجال، ثلاثة إخفاقات.

ماتيلده : الأول حاول ترويضه باللطف. لكنه ترك العمل بعد أربعة أيام. والثاني أراد أن يستسياء بالعقل ومكث أسبوعاً.

أنخلينا : والثالث جهد في السيطرة عليه بالقوّة. وهنا بدأت المأساة. أترين تلك النافذة في ذلك الجناح؟ من هناك ألقى به.

مارغا : لا أستطيع تصديق ذلك. أرمى الأستاذ بالطفل من النافذة؟

أنخلينا : بل الطفل رمى بالأستاذ.

مارغا : لحظة ! لحظة! أخذت أحس بالدوار. إذًا، رمى الطفل بأستاذه من تلك النافذة... لكن، كم عمر هذا المخلوق؟

ماتيلده : (على « كل طبيعي » أربعة وعشرون عاماً.

مارغا : (تنهض برغبة واحدة) ماذا؟ (تطبق جفنيها، وتسمح عينيهما ببدا، مسيطرة على نفسها.) معذرة يا آنستي! أظن أنني لم أسمعك جيداً. هل قلت أربعة أعوام؟

ماتيلده : أربعة وعشرون. (مارغريتا تترنح لحظة، وتستند.

على مسند كرسي.)

- أنا: تارارام. تارارام. بام. بام.
مارغا: (أخيراً تبادي ردة فعلها) أمن أجل هذا أتيتم بي؟
(تنظر إلى .. اعتها بسرعة) في أية ساعة قال مدير
الأعمال أن قطار العودة يمر؟
هاتيلده: لا تتركينا على هذا الوضع.
أنا: اسمعي بحق كل ما تحبين.
هاريغا: أبدو لكما أنني لم أسمع ما يكفيني؟ هذه مزحة
لا تغتفر. (تصرخ) آتني بأمتعتي وفوراً! (تحيط بها
الأختان متوسلتين)
هاتيلده: انتظري على الأقل، حتى تتعرفني عليه قبل أن
تقرري.
مارغا: ولأي شيء؟ ماذا يمكن لرجل كامل الرجولة
لا يعرف القراءة والكتابة أن يكون مريض، أم
متخلف عقلياً؟
هاتيلده: على العكس، ذكاؤه وقاد.
مارغا: إذا، ماذا؟ أهو متوحش؟
أنا: لم يكن خطؤه. والده اجتهد في أن ينشئه هكذا.
هاتيلده: عاشا وحيدين في الجبل، بعيدين عن الجميع،
و... الجميع. وإنما قصة محزنة.
مارغا: إي، أشفة! لكنني لم أت إلى هنا لأسمع قصصاً

مهما كانت محزنة.

المذكورات وإوسوبيو.

إوسوبيو : (بطلان) الأمتعة؟ (تسمع طلقة من بعد)

أنخلينا : أتسمعين؟ ما أروعها! إنها طريقته في التحية.

ماتيلده : فكري أن خلاص حياته بين يديك.

مارغا : أهو وسط تلك السحابة من الغبار التي يتبرها

الصدان المنطلق؟ شكراً جزيلاً، يا سيدتي. لكن.

من أجل هذا، لا تستدعي معلمة وإنما مروّنة
(تتأول إحدى الحشائيب بحزم).

ماتيلده : (تسند طريقتهما) سن فضلك، امكثي يوماً واحداً.

يوماً واحداً فقط.

أنخلينا : ساعة واحدة فقط! ليس من حقك أن تحررنا

من اللحظة الكبرى التي طالما انتظرناها!

مارغا : لتتبر، إلى أية لحظة كبرى تشيرين؟

ماتيلده : لحياة اللقاء! ألم تنتهي؟ هذا الفتى لم يرّ أبداً

امرأة. بياك وجمالك الذي يشبه جماله وصداه.

مارغا : آه! أو بدو لكما أن هذا خبر يطمئنني؟

أنخلينا : إذا يمكن أن يحدث خلال دقيقة؟

أنخلينا : الأجل ربما الشيء الذي لم يشهده أحد في

تاريخ العالم.

ماتيلده : مشهد الرجل الذي يرى امرأة لأول مرة،

وبنصر راكمًا، كالمتموحش الذي يرى الشمس
 لليلة أول مرة. (يقترّب خبيبُ الحصان تسمع طلقة
 رديدة، نباح الكلاب، وصرخات بابلو تشير الذعر
 فريدين).

أنخلينا : ها هو!

صرخان: : أنجا! أنجا! أنجا لا! كوبرا! أيخالا! أيخالا!

مارغا : الكلاب، لا... لا للكلاب!

إوسويو : (يخرج مسرعاً لإيقافها) اهدأ يا "برناردو" تعال
 هنا يا "فيرمين" اهدأ.

صمت قصير يتخلله صهيل . نباح - وأصوات
 أوسويو وهو يهدئ الكلبين

صوت بابلو : انتبه إلى الصغير، يا إوسويو. هذه الخبيثة
 أهسكت به من حلقه. هي غدارة حتى الموت.
 (يدخل بابلو كالإعصار. يشعّ صفة وقوة وفرحاً يرتدي
 "نزة من جوخ وقميصاً مفتوحاً. شعره أشعث متعرق،
 وينتعل هذا ركبّ كنانة (٦) وبندقية وحقيبة كبيرة).
 سأتبّله وأنخلينا ومرغريتا وبابلو.

بابلو : يا سلام! يا عمتي! يا سلام! يا عمتي أنخلينا!
 ثلاث ساعات وأنا أطارد بنت الشيطان على

(٦) - إن هذه العبارة (أجبة) المستعملة اليوم. لأن الكلمة هي الإسبانية
 من هذا الكتاب. Canji (المترجم)

الحصان لكنها سقطت أخيراً. (يحاقق هذا، وتلك، ويرفعها في الهواء وهو يدور بهما) يا سلام!

أنخلينا : مَنْ، من سقط؟

بابلو : الذئبة الرمادية. افترست أربع عشرة نعحة من نعاجي. وتلقّى الجرو أول جرح منها، لكنني صرعتها. والآن، ها هو الجلد لتعليقه على الباب (يرمي بالخنانة في الهواء فتتلقفها ماتيلده) والقوائم من أجل أنصال السكاكين! (يرمي بالحقيبة فتتلقفها أنخلينا). والأمعاء من أجل أوتار الغيتار! أي غشا -أي خا- خالا- لور أيتما الكلب... (يتنبه فجأة إلى وجود مرغريتا. يغير لهجته على شكل مفاجئ مشيراً بإصبع إبهامه.) من هذه؟

ماتيلده : الأنسة مرغريتا لوخان!

مارغا : (ترتجف بكاد صوتها لا يخرج) تشرقت يا سيد.

بابلو : (بتكشيرة، دون أن يعيرها أدنى اهتمام) أهلاً! (يعود إلى حماسه متوجّهاً إلى الصنّين ومديرًا نظره لمارغا) لور أيتما الكلب! كان ذلك في الصباح الباكر عند كانيادا دي سيرانتينا. وما أن تشمّ أثره ا حتى انتصب شعره كدبابيس محمّاة، ثم... (يتوقّف الصمت ذاته) ماذا جاءت تعمل هذه هنا؟

ماتيلده : الأنسة لوخان معلّمك الجديدة.

بابلو : لا! أعلّمة "هذا الشيء"؟

أنخلينا : قليل من الذوق يا بابلو. هذه فظاظلة أن تقول
"هذا الشيء" لدكتورة.

بابلو : آها! إذا، دكتورات صغيرات من أجلي؟ (يمسك
بها من ذراعها بقوة، ويجعلها تتقدم.) تعالى هنا،
أترين تلك النافذة العالية في الجناح؟

مارغا : نعم، نعم! لا تتعب نفسك. هما قصتنا عليّ
القصة.

بابلو : آه! حقاً؟ إذا أحببت أن تكوني مطمئنة إليّ،
أنت تعرفين، رجل لرجل. ولا شيء من تلك
الحيل الغبية من الحروف الكبيرة والصغيرة،
ونقطة فاصلة. (يعود إلى حكايته) ما أجمل تلك
اللحظة! بدأ الصباح يطل. ما أن تشمّ الكلب
أثرها..

ماتيلده : لا تهمنا الآن كلابك ولا الذئبة الرمادية.
الآنسة حضرت من أجل الاهتمام بك.

بابلو : أدعوها أنا؟

أنخلينا : يمكنك أن تكون أكثر لطفاً معها. قل لها شيئاً.

بابلو : مثلاً، ماذا أقول؟

أنخلينا : وما يدريني! انظرت إليها جيداً؟

بابلو : أفيها شيء غريب؟

ماتيلده : أنت ستقول، انظر إليها جيداً.

- بابلو :** (ينظر إليها ملياً، ويدور حولها) بشس! بشس!
لابأس بها. هي نحيلة قليلاً. اليس كذلك؟
- ماتيلده :** بابلو!
- أنخلينا :** لكن، ماذا ستظن بك الأنسة؟ أمعنت النظر في عينيها؟
- بابلو :** كيف لا! لها عينا اثنتان.
المذكورون وإوسوبيو للحظة.
- إوسوبيو :** سيد بابلو، سيد بابلو: "برناردو" لا يزال ينزف. توجد عضة في حلقه.
- بابلو :** سأتي فوراً. حضر كمادات بالماء المالح (بخرج (إوسوبيو)
- ماتيلده :** لهذا الأمر، يكفي إوسوبيو. ألا يمكن أن تدع كلابك هادئة وتهتم بالأنسة؟
- بابلو :** لا أرى أي داع. هي لم يحدث لها شيء لكن الكلب ينزف.
- مارغا :** السيد على حق. اهتم، اهتم بكلابك، يا سيدي. أنا أستطيع الانتظار.
- بابلو :** سأعود فوراً. (يهم بالخروج بتوقف) استبوين للغداء؟
- مارغا :** لا أعرف حتى الآن. إن شئت، يا سيد..
- بابلو :** سيان عندي تماماً. مائدة الطعام كبيرة وتأخير..

ما اسمك؟

مارغا : مارغاريتا.

بابلو : طويل جداً، إن شئت البقاء هنا، فسوف أسميك
مارغا.

مارغا : أهي نزوة؟

بابلو : لا شيء من النزوات. إذا كنت في ذلك الجبل،
وكان علي أن أناديك فماذا تريد أن أقول؟
مار-غاريتا. الأسماء الطويلة لا تصلح
للصراخ. أما القصيرة. نعم. (يجعل من يديّة بوقاً
ويطلق صرخة باتجاه الجبل كالصهيل) مار-غا!!!!
اتفقنا؟

مارغا : كما تريد يا سيد.

بابلو : هكذا يعجبني. النساء عليهنّ الطاعة. (يبتسم
وهو ينظر من أعلى إلى أسفل) إلى اللقاء، يا نحيلة.
(يخرج)

ماتيلده - أنخلينا ومارغا.

ماتيلده : يجب أن تعذريه، فالمسكين لم يتلق أية تربية
أبدأ.

مارغا : (سافنة. تتابعه بالنظر) شيء لا يُصدق.. لا
يصدق على نحو عجيب.

ماتيلده : هو فجّ قليلاً. أليس كذلك؟

مارغا : ينبغي العثور على كلمة أخرى. كذلك الحمامة
فجة أيضاً.

ماتيلده : لعله أخافك؟

مارغا : على العكس لم تطمئنني نظرة إنسان مثل
نظرتة.

انخلينا : إذأ، لماذا شحب لون وجهك؟

مارغا : لأنه أجمل إخفاق لقيته في حياتي. فالمتوحش
الذي رأى الشمس طالعة لأول مرة، لم يخرّ
راكعاً. هذه المرة، الشمس هي التي رأت
المعجزة. (تلفتت) كيف يمكن أن يحصل ما
حصل لإنسان عيناه على هذا القدر من الصفاء؟

ماتيلده : عشرون عاماً قضاها في بيت جبلي دون أن
يرى أحداً ما عدا أباه.

مارغا : لكن، لماذا فعل به أبوه ما فعل؟ هل فقد عقله؟
(الأختان تتبادلان النظرات وتطأطنان رأسيهما)

ماتيلده : نعم يا آنسة، نعم، لم أسمح لأحد أن يلفظ هذه
الكلمة، لكن، هذي هي الحقيقة المحزنة.

مارغا : أكان مجنوناً؟

ماتيلده : ليس مجنوناً بالمعنى الذي يقوله الأطباء.
جنون جنون رجل سلّم قياد نفسه إلى امرأة ثم
رأها تخونه.

- أنخلينا : مجنون باليأس وبالغيرة. مجنون بالحب.
مارغا : وهي؟
أنخلينا : هي كانت خفيفة العقل ملأى بالحكايات والأوهام. ولو أدركهما لكنا فقدنا ثلاثة أحياء بدلاً من عقل واحد. لكنه حين علم بالأمر كانا قد ابتعدا.
ماتيلده : انحبس هنا أربعة أسابيع محطماً كل ما يذكره بها، محطماً رسائلها وصورها؛ ممزّعاً ثيابها بأسنانه، وكذلك كتبها، خاصة كتبها كأنها كانت هي المذنبّة.
أنخلينا : لا تتخيلي معاناتنا خلال ثلاثين ليلة ونحن نسمع نحيب رجل كبير يردّد كلمة واحدة فقط كصرخة حمّى: أدبلائيذا... أدبلائيذا...
ماتيلده : ذات فجر كفت الصرخة عن الدويّ. وسمعناه يصعد كلساً ليخطف الطفل الراقد.
مارغا : ألم تستطيعا منعه؟
ماتيلده : كان مستحيلاً. "ابني لي وحدي". وكان يقول: "مسيحياً نظيفاً دون نساء ودون كتب سيكون حيواناً وحشياً، لكنه حيوان مسيحي". الله لم يكن في أعماقه هجواً تاماً.

مارغا : أفهم عنف اللحظة الأولى، لكن، لماذا لم
تطالبوا خلال عشرين عاماً بهذا الابن عن
طريق القانون؟

أنخلينا : كان أقوى من أيّ قانون. وكان قادراً على قتله
وقتل نفسه قبل أن يسلمه.

ماتيلده : والآن، ختمنا القصة القديمة. هذا الشاب
سيواجه حياته كرجل، وعلينا أن نعدّه لذلك،
كأنما وُلد للتو.

مارغا : مسؤولية ثقيلة! أعتقد أن باستطاعتي فعل
شيء؟

ماتيلده : وضعنا ثقتنا كاملة فيك. حاولي ذلك على
الأقل.

أنخلينا : عمّا قليل سيعود. أعطينا ولو أملاً.

مارغا : من يدري.. (تبتسم) الخطر ليس كابحاً. بل
يمكن أن يكون أحياناً إغراء.

ماتيلده : لماذا تبتسمين هكذا؟ أتسخرين منا؟

مارغا : كلا..! وإنما كنت أفكر بما قلتاه لي عند
وصولي. لعله أقل فظاظة مما كان يبدو عليه.
"أنا راکعة، لابسّة ردائي الأبيض... تفتح
الأبواب... الأسد يتقدّم.." (مصمتة على شكل
معاجز) أتركانني وحيدة معه.

الاثنان معاً: شكراً لك يا آنسة شكراً!

ماتيلده : أيمكننا الصعود بالأمثلة؟

مارغا : اصعدا بها.

ماتيلده : ألم أقل لك يا أنخلينا؟ لا شك: إنه خط حرف T

أنخلينا : والنقطة، يا ماتيلده! النقطة العالية! (تخرجان

مبتهجتين مع المتاع. تجلس مارغا مديرة ظهرها

منظاهرة أنها تقرأ باهتمام كبير. يظهر بابلو وهو

يقضم تفاحة يستند إلى الشجرة وينظر إليها ملياً

صامتاً. يناديها بصفرة صغيرة، دون نتيجة. يكرر

اللعبة. حينئذ يضع أصابعه في فمه ويطلق صفرة راع

حاددة. تنهض مارغا فائزة خائفة)

مارغا وبابلو.

مارغا : معذرة.. كنت مستمتعة بالقراءة جداً.

بابلو : كاذبة! شعرت بوصولي حقاً. زد على ذلك.

كنت تنتظرين بطرف عينك. العبي معي لعباً

نظيفاً وإلا... (يفرق بأصابعه)

مارغا : أنت على حق، يا سيد. الحقيقة هي أنني لم أكن

أعرف كيف أبدأ. هل الكلب في خطر؟

بابلو : أنت لم تري كلباً في حياتك، ولا يهملك ثور.

لماذا تسألين هذا السؤال؟

مارغا : لأنني أعلم اهتمامك به، يا سيد. أكانت... أكانت

خطية؟

بابلو : لا خطر فيها. فركت جرحه بالملح والخل،

والآن، كل شيء على ما يرام.

مارغا : لكنه تألم كثير أ.

بابلو : بالطبع! وآلمي أنا أيضاً.

مارغا : ومع ذلك، لم أسمعه يشكو.

بابلو : ولأي شيء؟ الكلاب تموت أو تُعالج، لكنها لا

تشكو. تعلمي ذلك. (يقضم تفاحته، ثم يمدها لها)

أترغبين؟

مارغا : كلا. شكراً. وبيدها إلى طعام الغداء.

بابلو : وقت الأكل هو حين يشعر المرء بالجوع أنتِ

ألسنتِ جائعة؟

مارغا : قليلاً ما أجوع.

بابلو : هذا شأنك، فليس فيك إلا عينان. ينبغي لنا أن

نعني بك أيضاً وإن أملك. (يجلس على الأرض إلى

جانبها، وهو ينظر إليها ساخراً بينما يخلع سهمازيه)

حسن! حسن! حسن! أنت صامتة ورنة جداً

شأن من لا يرغب في الشيء. أليس كذلك يا

معلمتي الصغيرة؟

مارغا : إنها مهنتي أتبدو لك سيئة يا سيد؟

بابلو : الأفضل أن نجعل الأمور واضحة منذ البداية.

المعلمون مولعون بإصدار الأوامر بإسراف وهذا

- لا يصلح معي. أنا صاحب الأمر هنا.
- مارغا : بإمكاننا الوصول إلى اتفاق.
- بابلو : ما هو؟
- مارغا : أن نتخلى كلانا عن إصدار الأوامر. نستطيع ببساطة أن نكون صديقين جيدين.
- بابلو : صفقة رديئة. الأصدقاء يجب أن يقفوا على قدم المساواة وينظروا إلى بعضهم وجهاً لوجه.
- أنت تخفضين عينيك حين أنظر إليك. وفوق ذلك أنت امرأة.
- مارغا : أهو أمر سيء أن أكون امرأة؟
- بابلو : أبي كان يقول ذلك، وهو كان يعرف دائماً ماذا يقول.
- مارغا : وأنا أستطيع أن أقول الشيء نفسه عن الرجال. لكننا لن يكون أي منا منصفاً. ألا تشعر يا سيد أنك وحيداً أكثر مما ينبغي؟
- بابلو : في اللحظة الحاضرة، تخلي فوراً عن مخاطبتي بـ "سيد" كنت أخاطب دائماً دون مجاملة أتسمعين؟ دون مجاملة حين أسمعك تقولين "يا سيد"، تبدو لي أنك تتحدثين إلى شخص آخر.
- مارغا : كما تشاء.

- بابلو : هكذا، له وقع أفضل! (يربت بودّ على ركبتيها وهو ينهض)
- مارغا : ألا تعتقد أننا بقليل من الإرادة نستطيع أن نكون صديقين جيّدين؟
- بابلو : لا أثق بذلك، المعلمون الآخرون كانوا يبدؤون أيضاً البداية ذاتها. كثير من الضحكات الصغيرة، كثير من التربيّات على جنبي؛ وما أن تغفل /زك/ حين يفاجئون بالنحو والصراف. لكن، على من؟
- مارغا : أنا لا أريد أن أعلمك شيئاً لا ترغب فيه. لكنني أحاول أن أكون رفيقة لك.
- بابلو : الوحدة ليست سيئة. أنا معتاد عليها.
- مارغا : من قبل كان الأمر مختلفاً. كان أبوك إلى جانبك.
- بابلو : هذا صحيح. معه كنت أحتاج شيئاً. أما الآن فقد صارت الأيام أطول مما ينبغي.
- مارغا : في صغرك، ألم يكن لك رفيق أبداً؟
- بابلو : كان لي رفيقة إنها "روسينا" كانت عيناها خضراوين مثل عينيّك.
- مارغا : بنت؟
- بابلو : بل ظيية. كانت تقيم العام كله معنا بوداعة

كسحلة إلى أن يحلّ الربيع.

مارغا :

في الربيع كانت تترككم؟

بابلو :

ألا تعرفين ماذا يجري في الجبل في الربيع؟

مارغا :

لم أمكث مرة قط في الجبل.

بابلو :

تمتلي الحيوانات بالحمى وهي تنسّم الهواء

الدافئ وتصبح نظراتها كنظرة بني البشر. وفي

هذا الفصل يمنع قتلها. حينئذ كانت روسينا تجتاز

السور وتجري باتجاه الغابة دون أن تلتفت.

مارغا :

فهمت!

بابلو :

وماذا تفهمين أيتها التعيسة مادمت لم تري شيئاً

في حياتك؟ (حالمًا) كانت جميلة تلك الليالي

المقمرة وأنا أسمع خوار الذكور كأنها تشكو أو

تتصارع حتى الموت بين الصخور. وحين تعود

روسينا، لم تكن تعود وحدها. كانت تأتي وديعة

من جديد وتستلقي قرب النار وهي تلحس

صغيرها، عيناها شاردتان كأنها تتذكر. (صمت

بسيط) كم ابناً لك.

مارغا :

(تفاجأ) أنا؟ ليس لي أولاد.

بابلو :

يا للغرابة! ولم؟

مارغا :

نحن -النساء- علينا أن نتعلم الانتظار.

بابلو :

ومع ذلك، لك من العمر ما يكفي، ماذا كنت

تعملين كل هذا الوقت؟

مارغا : كنت أدرس في الجامعة.

بابلو : وفي الربيع أيضاً؟

مارغا : وفي الربيع أيضاً؟

مارغا : بالنسبة لنا، الربيع ليس مبرراً لترك الدراسة.
فلو أخذت الأمر على هذا الشكل، لقال الناس
عني إني امرأة سيئة.

بابلو : عجيب! روسينا كانت تعمل هذا كل عام، ولم
نفكر أبداً أنها ظبية سيئة.

مارغا : (تهنئ) ستأخذ يفهم ذلك حتى الآن، عاش حل
منا في عالم مختلف عن عالم الآخر تماماً. هذي
هي المسألة.

بابلو : وجيء بك إلى هنا لتتزعيني من عالمي؟

مارغا : من يدري! الكتب (من فوق المنضدة) أمرجودة
هنا داخلها؟ يسرّتي جداً أن أراها. هذا الكتاب،
مثلاً، لا هو؟

مارغا : إحدى روايات عمّتيك.

بابلو : (يفتحه كيما اتفق له) فلنر: أقرني بصوت عالٍ.

مارغا : "كانت الكونتيسة تبكي بمرارة في جناح القلعة
الأيسر"

بابلو : لا تعينيني الكونتيسات الباقيات ولا جناح القلعة

- الأيسر (يرمي الكتاب ويناولها كتاباً آخر) وهذا؟
مارغا : "البرابرة. سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية"
بابلو : متى سقطت هذه؟
مارغا : منذ ألف وخمسمائة عام.
بابلو : أولم يجد الناس وقتاً كافياً لجعلها تنهض؟
(يرمي به) يُعداً للإمبراطورية الرومانية الغربية!
ها نحن تخلصنا من كتابين. وهذا عم يحكي؟
مارغا : إنه شعر.
بابلو : شعر؟ ماذا يعني هذا؟
مارغا : لا يمكن شرحه. أتحب أن تسمع؟
بابلو : هاتي (يقفز قفزة ويجلس على المنضدة وساقاه متصالبتان)
مارغا : ألا تشعر براحة أكبر لو جلست على الكرسي؟
بابلو : لو كنت أشعر براحة كبيرة على الكرسي لعلت أم تظنيني غيباً؟ هيا!
مارغا : (تقرأ صوت عالٍ وواضح)
أي شيء هذا؟ قال طفل وهو يرميني عشباً.
وماذا بوسعي أن أقول له؟
لأنني أنا أيضاً لا أعرف أن أقول ما هي العشبية.
لما كانت راية حباً

نُسجت بخضرة أمل.

أو كانت هدية عطرها أحد

أو لعلها منديل ألقى به

الله على الأرض للجميع.

بابلو : أو كانت هدية عطرها أحد

مارغا : أو لعلها منديل ألقى به

الله على الأرض للجميع.

بابلو : أو لعلها منديل ألقى به..

(صمت جديد)

مارغا : أفهمتها الآن؟

بابلو : الآن أعتقد أنني فهمت (ينهض ممسكاً بالكتاب) لم

يكن غيباً من قال هذا. فهو يتحدث عن الأشياء

الصغيرة كأنها عظيمة. وفوق ذلك، لديه فضيلة

الصدق.

مارغا : لماذا تقول هذا؟

بابلو : لأنني أعرف العشب مذ ولدت. كنت استنشق

رائحته كل حياتي، بل كنت أمضغه بأسناني..

ومع ذلك: "ولا أنا أيضاً أعرف أن أقول ما هي

العشبة" (يقلب صفحات الكتاب كأنه ألقى مجهول) هل

الكتاب كله هكذا؟

مارغا : كله هكذا. /الأرض والإنسان/ وجهاً لوجه.

بابلو : أنا واثق أنه كان سيعجب والدي. أيعجبك أنت أيضاً؟

مارغا : قرأته مائة مرة. هو بمثابة صديق لي.

بابلو : إذًا، ماذا سنفعل؟... (يبدو مهزوماً قليلاً) سأتعلم القراءة.

مارغا : شكرًا يا بابلو.

بابلو : لحظة! أوجد في الكتاب حروف كبيرة؟

مارغا : (تبتسم) ولا حرف واحد، كن مطمئنًا. الشعراء الكبار لا يحتاجونها.

بابلو : هذا أفضل. (يضع الكتاب على المنضدة باحترام. ثم يفتح كرسيًا مطويًا ويركب عليه)

مارغا : أتعلم أنك تقضت كثيرًا خلال وقت قصير؟

بابلو : بماذا؟

مارغا : بطريقة جلوسك. هي حتى الآن غير صحيحة، لكنك على الأقل. تجلس على الكرسي. أهنئك.

بابلو : لا تفرحي كثيرًا. اللعبة لم تنته بعد. سادعك تعلميني القراءة لكن الكتابة، ولا كلمة عنها!

مارغا : ولم لا؟

بابلو : أستطيع أن تعلميني لأكتب مثل هذا الكتاب؟

مارغا : كلا! أن تكتب مثله، بالتأكيد لا!

بابلو : إذا لم أكتب مثله، فما فائدة تعلم الكتابة؟

مارغا : يمكن أن تكون مفيدة. هي طريقة في مخاطبة
الناس من بعيد. أتذكر ما قلته لي من قبل؟ إذ
كنت في ذلك الجبل فسوف تتأديني صارخاً
مار-غا!!! لكن، إذا كان بيننا عشرون جبلاً،
ماذا يفيدك الصراخ؟

بابلو : سأسعي باحثاً عنك على الحصان.
مارغا : وبدلاً من عشرين جبلاً، إذا كان يفصلنا
عشرون بلداً وراء البحر، فماذا يفيدك الحصان؟
بابلو : (ينظر إليها بقلق) ماذا تعنين؟ أتفكرين بالرحيل؟
مارغا : هذا اليوم، ربما لا. يمكن أن يحصل غداً. ولا
بد من أن يحدث ذات يوم.

بابلو : (عابساً) إذاً، لماذا جئت؟ إذا كان لا بد من
رحيلك، فالأفضل أن يكون الآن في هذه الساعة
ذاتها.

مارغا : افهمني يا بابلو. ليس الأمر كذلك. أنا أسألك
ببساطة: إذا كنت بعيدة جداً، وأردت أن تتأديني
فلن يفيدك الصراخ ولا الحصان. لا بد لك من
أن تكتب لي، ما رأيك؟

بابلو : أحبيبي أنت أولاً. إذا كنت في آخر الأرض،
فكيف أتيت إليك ودعوتك، حينئذ؟

مارغا : من يدري!

- مارغا : (تنظر إليه ملياً. تنفض من طرفها ومن صوتها) قد آتي!
- بابلو : إذا، لا بأس! علميني الكتابة.
- مارغا : شكراً لك مرة أخرى... أتريد أن نبدأ الآن؟
- بابلو : (يتمشى مضطرباً) كلا! الآن، لا هذه أشياء جديدة جداً لا يتسع لها يوم واحد.
- مارغا : أفضّل أن نتحدث عن أمورك.
- بابلو : أية أمور؟
- مارغا : حياتك في الجبل... والدك.
- بابلو : هذا نعم... أستطيع الكلام عن والدي طول حياتي دون أن أتعب
- مارغا : أكنت معجباً به كل هذا الإعجاب؟
- بابلو : (يعود إلى جانبها) كان عليك أن تتعرفي عليه. كان طويلاً، قوياً، جميلاً.. كلمة الصدق دائماً على طرف لسانه كجمرة أو كسيجار. وحين كان يطلق الخيل، كانت أعتى الجياد ترتجف بين مهمازية. لكنه يجلس بعد ذلك قرب النار ويحكي لي قصصاً عجيبة، ويعلمني لغة الطيور.
- مارغا : لكن، أيمن تعلم لغة الطيور؟
- بابلو : هي سهلة جداً، ومكوّنة من أربع كلمات، واحدة للإنذار بالخطر. والأخرى دعوة للمعام،

والثالثة تلقبها الذكور للتحدي، والرابعة دعوة
للأنتى. ولأي شيء تريد المزيد؟

مارغا : وأبوك أكان يعرف لغة الطيور؟

بابلو : أبي كان يعرف كل ذلك. لكنني بعد أن
عرفتك، لا أفهم لماذا كان يحقد على النساء كل
ذلك الحقد.

مارغا : ألم - يحدثك عن هذا أبداً؟

بابلو : أبداً. أحياناً كان يأتي بعض الأصدقاء
ليصطادوا معنا؛ وكانوا يشربون الخمر
ويتحدثون عن النساء... لكن، ما أن يسمعهم
والذي يذكروهن حتى يطلق كلمة جارحة قاسية
كلمة عمتاي تقولان إنها كلمة قبيحة لا ينبغي
أن تذكر. أقولها لك؟

مارغا : كلا! لا ضرورة لذلك. إنني أتخيلها.

بابلو : ثم كنا نمتطي حصانينا ونشرع بالعدو معاً
ساعات وساعات وكأنه يحمل في داخله قوة
رهيبة عليه أن يفرغها، إلى أن تغيب الشمس
ونسقط من الإعياء فوق العشب. ماذا كان يسميه
الناس هذا الوقت؟

مارغا : منديل الله!

بابلو : إذاً، هكذا... (يتمدّ وعلى الأرض) كنا نتمدّد فوق

منديل الله ونر الليل يقبل حينئذ يأخذ أبي يردد
بصوت عال أسماء النجوم: الدبران، اللؤلؤة،
أندروميذا الشقيقات الثلاث؛ وفجأة ينقطع نفسه
وكانه لا يستطيع أن يتابع، ويلفظ اسماً آخر
بصوت خفيض جداً، خفيض جداً: أديلانيدا.
(ينهض فجأة) أتوجد نجمة تسمى أديلانيدا؟

مارغا : (تخفي وجهها متأثرة) لا أدري يا بابلو! مؤكد
أنها موجودة.

بابلو : إذا لم تكن سوى نجمة، فلماذا، إذاً، كان والدي
يبهر حين كان يقول "أديلانيدا"؟ أنت، يا من
درست كثيراً: ألا تستطيعين إجابتي على هذا
السؤال؟

مارغا : لست أدري. دعك من ذلك.

بابلو : (يمسك بها من ذراعها بقوة) لا! هكذا، لا!
ارفعي رأسك. (يرغمها على أن تنظر ويخفض من
صوته) ماذا جرى لك يا مارغا؟ أنت تبكين...
هل أسأت إليك بشيء؟

مارغا : على العكس. (تنهض) كنت أفكر أن الحياة
يمكن أن تكون أجمل مما أظن؛ وأنني معلّمة
مسكينة حمقاء جداً. جنّت إلى هنا زاعمة أن
أعلم. وها أنا لا أعرف أن أدوي كلباً، ولا

أعرف لغة الطيور ولا أسماء النجوم.

بابلو : أقسمي أنك هكذا تفكرين فقط!

مارغا : أقسم لك. والآن دعني. هذا أول يوم أفضيه في الهواء الطلق. والشمس أصابتي بما يشبه الدوار.

بابلو : الحرارة مرتفعة حقاً. أتعرفين السباحة؟

مارغا : تقريباً. لماذا؟

بابلو : النهر على بعد خمس دقائق من هنا. أنذهب؟

مارغا : كلا! وشكراً. في المقام الأول سيكون الماء بارداً حتماً كالجليد.

بابلو : بالطبع. ولا تقولي لي أن استحمّ بالماء الحار كما تفعل عمتاي. وفي المقام الثاني؟

مارغا : في المقام الثاني: لم أحضر معي (مناوّه) للسباحة.

بابلو : ولأي شيء؟

مارغا : لألبسه، لن أصبح عارية.

بابلو : آه! لكن، اتلبسين من أجل الغوص في الماء؟ هذا لم يحصل لي أبداً.

مارغا : هذي هي العادة عندنا.

بابلو : ولم لا تستطيعين السباحة عارية؟ ألسنت شابة سليمة وجميلة؟

- مارغا : وإن كنت كذلك ليس بسببي، ولكن بسببك.
- بابلو : آها! تبعاً لذلك، هذا أنا من يجب حرمانه من النزول إلى النهر.
- مارغا : هذا شيء آخر، ستأخذ بتعلّمه سرّ واذهب إلى النهر وحدك. إلى اللقاء يا بابلو (تتجه صوب البيت. يُسمع في الجهة اليسرى غناء عصفور)
- بابلو : انتظري. أسمعين؟
- مارغا : (تتصنّت لحظة) رائع، أهو عندليب؟
- بابلو : عندليب؟ لكن، أية شياطين علّموك في الجامعة؟ إنه دنور.
- مارغا : و...؟
- بابلو : أتعرفين ماذا يقول؟ استمعي.
- مارغا : (فلقّة) كلا ، من فضلك.. لا تقل إن هذا العصفور يتحدّث إليك. فالأمر واضح لي تماماً!
- بابلو : اسكتي... (يسمع ويعلق مدهوشاً) غير ممكن!
- مارغا : (ناظرة إليه وإلى العصفور. صوتها يكاد لا يسمع) لكن، أحقّاً أنك تفهم عليه..؟
- بابلو : تمام الفهم. لكني لا أفهم السبب. لم يحن الوقت بعد (يسكت العصفور) ومع ذلك هذه الحرارة المفاجئة... وهذا الهواء المشتعل... (يفتح فميصه مضطرباً ويتنفّس بعمق) أية رائحة تشمّ هنا؟

- مارغا : لا أدري. ربما كانت رائحة هذه الأغصان.
- بابلو : (لوز مزهر) لوز مزهر! (مشرق الوجه) إذاً هذا
الدنور على حق! إنه الربيع يا مارغا.
- مارغا : حل الربيع؟ (تراجع قلقة)
- بابلو : الآن، فهمت سر هذه العقدة في الحنجرة وهذه
القوة في العينين!
- مارغا : أي عينين؟
- بابلو : عيناك. لم أرد أن أقول ذلك من قبل بسبب
الغرور. لكن لم يسبق لي أن رأيت شيئاً بهذا
الجمال. (يتقدم مفتوناً وعاشقاً) دعيني أنظر إليهما
عن قرب شديد.
- مارغا : (تلتجئ وراء والمنضدة) شكراً، يا بابلو، لكن
أذهب، الآن إلى النهر. حمام بارد سيجعلك في
أحسن حال.
- بابلو : كلا! الآن! إذا ذهبنا إلى النهر فسنذهب معاً.
(يتقدم مصمتاً)
- مارغا : (فيما يشبه الصراخ) من فضلك يا بابلو! نحن
لسنا في الغابة! (تحاول الهرب باتجاه البيت يمسد
عليها الطريق بقفزة)
- بابلو : اهذهني!
- مارغا : لاتجبرني على الصراخ!

بايلو : قلت اهدني! (يضمها بحنف، مطبقاً على فمها بفمه حتى سيطر عليها ثم يبعتها بفظافة) الآن، اصرخي إن شئت لكن، اعلمي أن صاحب الأمر هنا هو الرجل (يرمي بسترته أرضاً ثم يشرع بخلع قميصه) أنا بانتظارك في النهر. (يخرج تتبعه حتى منصف المسرح رافعة قفا يدها إلى فمها)

مارغا : متوحش، فظ! (تخرج العمتان مذعورتين)
مارغا وماتيلده وأنخلينا.

أنخلينا : لا تقولي لنا شيئاً يا آنسة. لقد رأينا كل شيء.

ماتيلده : يا للوحش! وتجراً أن يقبلك بالقوة!

مارغا : (دون أن تلتفت، ناظرة باتجاه النهر) كلا! التقييل لم يتعلمه بعد... وإنما عضني.

ماتيلده : أعضك! آه، يا ربي مالك روح! (تسقط خائفة على كرسى) أنخلينا!

أنخلينا : لا تقولي لي شيئاً. (تتلاي بصوت عالٍ) إوسوبيو، هاتر أمتعة الآنسة!

مارغا : أبداً... هذا أوان أن أبقى.

ماتيلده : أتبقين؟

مارغا : لا أدري إن كان عندي شيء أعلمه هنا... لكن علي أن أتعلم الكثير (يسمع صوت العصفور مرة أخرى. تلتفت مارغا صوبه) نعم، يا بني نعم، إنني

أعلم... إنه الربيع!

أنخلينا : لكن، إلى من نتحدثين؟

مارغا : إلى العصفور (تسمع صرخة بابلو الجبلية تهدر من بعيد)

صيحة : مار-غا!!! (مارغا مشرقة الوجه، ترفع يدها محببة وتجيب باللهجة ذاتها)

مارغا : با-بلووو!! (تخلع سترة السفر. وترمي بها إلى الأرض وتخرج راكضة نحو النهر. يستمر العصفور في الغناء بكل البطء البهيج لهذه العصافير الريفية التي رأت كثيراً)

ستار

الفصل الثاني

داخل البيت، في زمن لاحق. في الصق رواق من البلور يطل على الحديقة، يقابل مدخل البيت في الفصل الأول منظوراً إليه من الداخل في الجانب الأيمن مطلع سلّم له درابزون من قضبان خشبية ثقيلة، وفي القسم الأول منه مدخنة من الحجر مع أدوات نحاسية.

في الجانب الأيسر: باب في القسم الأول، ودهليز في القسم الثاني. أخشاب ذات لون مخضرّ دُمِجَ، ومخامِل حمراء، البيت كله يوحي بخشونة الأنثى الريفية، تخلف منها المطرّرات والستائر والسجاد المعطّق على الجدران، ولطف العمتين.

إنها الساعات الأخيرة من مساء خريفي. الصّة أنخلينا تجلس إلى منضدة طافحة بالكتب، والمجسمات الهندسية، ومخططات الفحم، تراجع مسحورة رسوماً ودقائق وهي تستمع إلى السيد رولدان يهدوء محبّب كأنها تسمع سقوط المطر. السيد رولدان يتمشى مضطرباً وهو يصرخ.

أنخلينا ورولدان.

رولدان : أوه! أنا لا أوافق على هذا!! إلى هنا تصل بنا

الأمر؟ يستطيع المرء أن يفهم بعض الأشياء ويجعلها عذراً. لكن طفح الكيل. ولتحمل هذا كله أحتاج إلى كل صبر راهب فرنسيسكاني. وأنا ليست عندي نزعة الاستشهاد أسمعيني؟

أنخلينا : (بتهذيب) أنا مسرورة جداً. أظنك وقعت في ورطة صغيرة مع الأخوة البندكتيين والفرنسيسكانيين والشهداء لكنني متساهلة جداً في الأمور الدينية. تابع! تابع! (تتناول دفتر آخر)

رولدان : إذا كان رأيي لم يعد له وزن في هذا البيت، فيجب عليّ أن أقدم استقالتي. أ يوجد مخرج آخر لإنقاذ كرامة مهانة؟ لا يوجد إلا الاستقالة.

أنخلينا : نعم، يا سيد، هذا جيد جداً!

رولدان : آنسة أنخلينا، أسمعيني نعم أم لا؟

أنخلينا : معذرة، أكنت تقول...؟

رولدان : كان عليّ أن أتخيل ذلك، منذ نصف ساعة وأنا أقدم لك استقالتي لكن، لأي شيء؟ حين تتظرين في دفاتر "طفلك"، حتى انفجار غاز لن يلفت انتباهك.

أنخلينا : (تتنبه لحظة) ماذا تقول لي؟ أحصل فم البيت انفجار غاز؟

رولدان : حتى الآن، لا. لكن، إن ظلت الأمور على ما

هي عليه، فلن أستغرب أن يحصل ذلك ذات يوم.

أنخلينا : لا بأس عليك، لا بأس. لا ضرورة للمبالغة فقد يكون بابلو أشدّ تمرّداً مما تريد، لكنك لن تتكرر أنه فتى مدهش.

رولدان : أبدو لك مدهشاً أن يدخل مكتبي على متن حصانه؟

أنخلينا : غير معقول... إنه شيطان؟

رولدان : أتبدو لك طريقة صحيحة أن يناديني بقذف نافذتي بالحصى وقت القيلولة؟ لم يبقَ لوح بلور واحد سليماً في الجناح كله.

أنخلينا : أحقاً؟ ما أروعه! عليك أن تفهمه، هي كل ما لم يستطع تحقيقه حين كان صغيراً وبقيت راقدة في داخله. أنت نفسك: أما كنت ترمي الزجاج بالحصى حين كنت صغيراً؟

رولدان : ممكن يا سيدتي لكنني حين كنت صغيراً، ولم يكن عمري خمسة وعشرين عاماً. وليت الأمر اقتصر على البلور.

أنخلينا : أهنأك شيء آخر؟

رولدان : كل شيء. هذا الصراخ الجبلي كصراخ الراعي. وسوء تقديره للأشخاص العقلاء

خاصة هذه الطريقة الرهيبة بقوله دائماً كل ما يفكر به.

أنخلينا : هذا صحيح. وهو عيب عنده لم نجد وسيلة لإصلاحه، ولم نستطع ثنيه ليقول "السيد المدير" حين يجري ذكرك. يقول دائماً "هذا الثعلب العجوز".

رولدان : أهذا جزائي؟ لماذا هذا الحقد علي؟

أنخلينا : (مستزفة في دفترها) مدهش!

رولدان : أهذا ما يبدو لك؟

أنخلينا : مدهش بالأمور التي تحدث له وأسلوبه الخاص بالتعبير عنها، وهذا الحرف، ألمعنت النظر إليه؟ يشبه خطها لكنه مكتوب بيد رجل. قل لي: أوروبا: أتكتب بحرف صغير؟

رولدان : بل بحرف كبير.

أنخلينا : كند، أخشى ذلك وأمريكا أيضاً. أليس كذلك؟

رولدان : بالطبع! ولم ينبغي أن تكون أمريكا أقل من أوروبا.

أنخلينا : طريف! كل الأشياء الكبيرة يبدوها بحروف صغيرة. وعلى العكس من ذلك، كلمة امرأة يبدوها دائماً بحرف كبير، أخطر ببالك ماذا يعني ذلك؟

- ١٠١٠ : كيف لا: ثلاثة أخطاء كتابية.
- ١٠١١ : أخطاء كتابية، ربما لكن يا لها من أناقة
البيعية!
- ١٠١٢ : هذا ما ينقصني أن أسمعها! أتعدّين هذه
الخريشات مثلاً للأناقة. أتظنين أنه يمكن بهذه
الطريقة أن يظهر في المجتمع؟
- ١٠١٣ : لدينا مزيد من الوقت. ما يهمنا الآن الروح.
"الأناقة" تأتي فيما بعد.
- ١٠١٤ : يعني: أتبدو لك جيّدة هذه القريبة التي تقدّم له
دائماً وفق نزواته؟
- ١٠١٥ : ولم لا؟ إن كان سعيداً بذلك. ألسنت موافقاً علي
سأهج الأنسة لوخان؟ أم أن عندك شيئاً شخصياً
بينهما؟
- ١٠١٦ : ببساطة، أفعالها فقط، الأفعال ما يهمني، دخلت
هذه الأنسة هذا البيت منذ ثمانية شهور وماذا
كانت النتيجة؟ بابلو ما يزال متوحّشاً مثل أول
يوم. وهي، على نقيض ذلك، تعلّمت استخدام
البندقية وصيد سمك القروتشا بيدها تحت الماء،
ومن يربّي من؟
- ١٠١٧ : الأنسة لوخان تعرف مهنتها، وتعلم بالضبط ما
تفعل، إذا أرادت نصيحة صادقة فلا تتدخل

بمجال غيرك، وعد إلى أرقامك.

رولدان : أرقامى لم تعد أرقامى أيضاً، لقد غزيت فى صميم عملى.

أنخلينا : أغزته الأنسة؟

رولدان : بل هذا المتوحش. منذ زمن وهو لا يعمل شيئاً إلا تقليب أوراقى، ومراجعة مصنفاتى، وتسجيل الملاحظات. أيمكننى أن أعرف عما يبحث؟

أنخلينا : (تبتسم بخبث) آه! الآن صبرت أفهم هذا "المتوحش" المسكين الذى تعلم خلال ثمانية شهور ما تعلمته أنت خلال نصف حياتك، يسعى إلى مراجعة حساباته. وأنت بالطبع ساورك خوف شديد منه، أليس كذلك؟

رولدان : انظرى يا سيدة. صبرى ليس له حدود. لكن كرامتى، نعم، إن كنت فقدت تقنكم فإنى آسف لذلك. لكننى سأرى نفسى مضطراً إلى أن أقدم الآن وفوراً وبصورة لارجعة فيها...

أنخلينا : نعم، نعم، أعلم: استقالتك، تتحدث دائماً عن استقالتك إليّ لماذا لا تتحدث بذلك إلى أختى ماتيلده؟

رولدان : (يجفف العرق عن جبهته التبيدة) الأمر مختلف. أختك تبغضنى. هى قادرة على نسيان عشرين

عاماً من التضحية في دقيقة واحدة. (تدخل ماتيلده من الحديقة، حاملة أزهار المستحية تنسجها في زهرية وهي تتكلم)
أخبرينا و «لدا» وماتيلده.

ماتيلده : مساء الخير! مالكما، أنتما جيران كالعادة دائماً؟
رولان : على العكس، الأنسة أخيلينا وأنا متفقان على كل شيء.

أخبرنا : على كل شيء، غير صحيح السيد رولان لا يوافق تماماً على حصيلة تربية بابلو.

ماتيلده : أريدو لك أنه تعلم قليلاً خلال ثمانية أشهر؟
رولان : في الكتب تعلم كثيراً وبإفراط، لكنه اجتماعياً، أمر آخر. كيف تتخيلينه في اجتماع سيدات أو شرفة في أوبرا؟ سيكون كحصان طليق وسداً أنية من الفخار.

ماتيلده : ههههه! أطلب إليك سحب هذه الكلمة فوراً.

رولان : لبيست كلمتي. إنها كلمة معلّمة ذاتها.
ماتيلده : الأنسة لوخان لم تقل حصاناً. بل سنتور^(٧)

رولان : هما سيان، في نظري، السنتور ما هو إلا حصان بالمعنى الأدبي

(٧) : «...» جميع حصان، ورأس ومنع إنسان.

ماتيلده : لك أفكار شخصية جد أحول الميثولوجيا.
وقياساً على ذلك، أتجرو على أن تدعى بي أن
حورية ليست إلا سمكة؟

رولدان : لا دافع عندي لفهم الميثولوجيا لكن الناس
تحدثوا عن الحوريات وحذار حذار من إلهة
أسماك خطيرة. والطعم الموضوع في الشجر
ثروة كبيرة.

ماتيلده : دون كلمات غامضة. أتحسن صنعاً فتوضح
لي قصة صيد السمك هذه؟

رولدان : (ينتفض حقت محاصر) بكل سرور هي قصة
تتضمن سؤالين: من صاحب الأمر في هذا
البيت؟ بابلو: وهو إنسان غير مسؤول. ومن
يأمر من خلال بابلو؟ هي وهي امرأة لا يعرف.
من أي أرض طلعت. هل أنت بحاجة لأقول لك
الحكمة من ذلك؟

ماتيلده : (عاصفة تقبض على الزهرية) الحكمة سأقولها لك
أنا دون كلمات (ترفع الأضارة توقتها أنخلينا
مرتاعة)

أنخلينا : ليس بهذه يا ماتيلده. إنها إرث من جدتنا.

ماتيلده : هذه الفخارة كانت لجدتنا؟ (تتمسك بجرم)
رولدان، أحمد الله على هاتين النعمتين: أنني لم

أخلق رجالاً... وأن الزهرية إرث من جدتها.
يمكنك الإنصراف (تتأهب لوضع الزهرية بود. يدخل
إوسوبيو من الدهليز)
المذكورون وإوسوبيو.

إوسوبيو : سيدتي: السيد رولدان وصل للتو. إنه يخلق
على العربية.

ماتيلده :- (مدهوشة) السيد رولدان؟ أي سيد رولدان؟
إوسوبيو : ابن أخيك.

ماتيلده : ابن أخي؟ أي ابن أخ؟
إوسوبيو : ابن السيد.

أنخلينا : فهمنا السيد رولدان "الابن"، حسب تعبير الملكة
فيكتوريا.

ماتيلده : أية ملكة فيكتوريا؟
أنخلينا : ملكة بريطانيا.

ماتيلده : آها! معنى ذلك أنك تسمح لنفسك بدعوة
ضيوف إلى البيت دون استشارتي؟

رولدان : أقسم لك إنني لم أكن أتوقع وصوله. كتبت له
منذ فترة، لكنه كان مسافراً. وها هو أول جواب
منه.

ماتيلده : لا بأس! (على من فيكتوري) فليدخل، السيد
رولدان الابن بخرج (إوسوبيو) بوصول هذا الفرع

الآخر من العائلة، افترض ألا تضيف أبياً
حميماً على الزيارة.

رولدان : لا لزوم لذلك. هي ببساطة مسألة . . . الحج. لا
تنسي أن ابني هو محامي البيت.

ماتيلده : مؤكد. لقد نسيت هذا التفصيل الذي . . . الأب
مدير، والابن محام. إذًا، اقتسما السماء على
شكل استراتيجي. أليس كذلك؟ (يدخل
خوليو رولدان. لا يزال شاباً شيقاً، لكن بسمه، واضحة
الزيف)

ماتيلده. أنخلينا ورولدان وخوليو.

خوليو : رائع! بعد كل هذه الأسفار والفنادق، ما أحلا
العودة إلى البيت العائلي!

(يعانق أباه الذي كان أقربهم إليه) كيف همّتك اليوم؟
رولدان : لا بأس، يا بني، لا بأس.

خوليو : عزيزتي العمّة أنخلينا دائماً مبتسمة وشابة.
(يعانقها ويقبلها بصخب)

أنخلينا : شكراً يا خوليو.

خوليو : العمّة ماتيلده! (يمدّ لها يده. تسحب هي يدها بشكل
ملفت للنظر)

ماتيلده : دون كلمة عمّة. يكفي ماتيلده. والأفضل:
"ماتيلده".

- خوليو** : لا زلت بأحقادك القديمة؟ لكن، إلى متى؟
- ماتيلده** : من جهتي، إلى الأبد إن أراد بابلو الإعتراف بك واحداً من أفراد العائلة، فهذا شأنه. أنا يمكن أن أتكسر، لكنني لا أنثني.
- أنخيلينا** : من فضلك، بعد كل شيء. الشابان أولاد خولة. فأني ذنب لهما في هذا؟
- ماتيلده** : كفى! أنت تكلمت أكثر مما ينبغي.
- أنخيلينا** : لكنني لم أتكلم سوى أربع كلمات تقريباً.
- ماتيلده** : حين تتكلمين أربع كلمات، ثلاث منها زائدة. (لخوليو) أما بشأن المجاملات فأقل حوار هو الأفضل: "أنت قمت بسفر رائع. لم تنسنا لحظة واحدة. وصحتي جيدة. وشكراً.
- خوليو** : بصراحة، ما كنت أتوقع هذا. بوصولي ظننت أنني قادم إلى بيتي.
- ماتيلده** : هذا ما سيقوله بابلو. من جهتي، آسفة لعدم تمكني من الجلوس معكم على المائدة. لكنني واثقة أنني سأصاب هذه الليلة بصداع عنيف.
- أنخيلينا** : وأنا، أينبغي أن يؤلمني رأسي أيضاً؟
- ماتيلده** : أنت، سيؤلمك كبدك. ستكونين على أفضل حال، السيد المدير. السيد المحامي: "وداعاً"! هيا بنا يا صغيرتي. (تصعد بكهرياء مع أختها. خوليو

ينظر إليهما تخرجان، بينما يطق بشكل مكتوم ويشعل
سيجاره)

رولدان وخوليو.

خوليو : يا لك من أفعى مضحكة! ساحتل ذات يوم هذا
البيت، وتطردن أنت إلى الخارج. (يلتفت) يبدو
أن الأمور صارت صعبة هنا.

رولدان : أكثر مما تتخيل أتلقيت رسالتي؟

خوليو : هذا ما أدهشني. لماذا هذا الاستعجال؟ لا تقل
لي إن هاتين العانستين الحمقاوين أثارتا فيك
الخوف!

رولدان : ليستا هما. وإنما هو صار مصدر الخطر.

خوليو : بابلو؟ هذا المتوحش الذي لا يعرف حتى أن
يكتب اسمه؟

رولدان : أي، يا بني! هذا كان من قبل، في الأوقات
السعيدة، الآن ضع بين يديه كتاباً في القانون،
وستجده في اليوم التالي قد حفظه.

خوليو : ليس الأمر كذلك. أظن أنه يشتبه بشيء؟

رولدان : ربما. بوجود أب مجنون وابن تحول إلى
بهيمة، كانت ثقتنا بأنفسنا مفرطة والآن يجب
مراجعة كل شيء من الأساس: العقود، والرهون
وتواقيع الأب.

خوليو : دون اضطراب كل شيء مكتوب على شكل قانوني تماماً.

رولدان : من حيث المظهر، نعم. لكنّ عشرين عاماً في الجبل البسته حاسة شم كلب يجري منقباً نابشاً ليرى ماذا يوجد تحت.

خوليو : المهم الآن، ليس هذا البائس المغفل، وإنما هي.

رولدان : هي؟ من؟

خوليو : هذه المعلّمة الصغيرة التي هبطت من السماء. حسب المعلومات الواردة في رسالتك، لا يوجد أدنى شك إنها مرغريتا لوخان، فتاة وحيدة، الجامعة..

رولدان : أتعرفها؟

خوليو : كنا صديقين حميمين: أتذكّر ما عانته كي تنهي دراستها لم يكن في جيبها سنتيم واحداً أبداً.

رولدان : من هذا الجانب، لا تتسج أوهاماً. امرأة من هذا الطراز لا تشرى بالمال إنها مفرطة بكبريائها.

خوليو : حين عرفتها، كان عليها أن تبني ليالي كاملة دون أن تتناول فنجاناً من القهوة حينئذ لم تكن متكبرة، دعها لي، متى ينتهي الأجل الأخير؟

(يُسمع من جهة الصق نباح كلاب بعيدة)

رولدان : اسكت! بابلو هنا. هيا. بنا إلى مكتبي.

خوليو : (يخرج مع أبيه عبر الدليل) مرغريتا لوخان...!

أتذكرها وكأنني أراها أمامي، عيادها جميلتان
خضراوان... مرغريتا لوخان! (المسرح خال
للحظة... النباح يقترب تسمع صفرة ثم صوت مارغا
وهي تهذي الكلاب.)

صوت مارغا: تعال هنا يا "فيرمين" اهدأ يا جرو، اهدأ.

هكذا! (عقب المسرح يفتح فجأة وتدخل مارغا وتغلق
الباب وراءها فوراً النباح يأخذ بالخمود في الخارج.
تنتهت بمرح وقد أعيت من طول ما جرت، تحصل ثمرة
تضمها كما كان يفعل بابلو في الفصل الأول. تنزع
البندقية عن كتفها، وتلقي بها على إحدى الكراسي
دون أن تنتظر. تدنو من المنضدة وتجلس على طرفها
وتسنع دفاتر ورسوماً ملتقطة أنفاسها من حين لآخر
تبدو عليها أمارة دهشة وصيحة معطمة راضية. تشرع
بالتصحيح وهي تصفر من بين أسنانها بينما تقوم
بصلها. تنتظر فيما حولها وكأنها تخشى أن يراها أحد،
تضع إصبعها في فمها وتحاول أن تصفر على شكل
حاد دون أن تنجح تجرب ذلك مرة أخرى)

مارغا وحيدة ثم أنخلينا في الحال.

مارغا : هذا عبث. لن أتعلّم هذا الصغير أبداً. (يتابع

التصحيح وقضم الثمرة في السلم تظهر العمة أنخلينا)

- أنخلينا : أنت وحيدة؟
- مارغا : مساء الخير، يا أنخلينا.
- أنخلينا : (وهي نازلة) ظننته هو من وصل مع الكلاب،
أما عدت تخافينها؟
- مارغا : الآن صرنا أصدقاء كباراً. كنا عند البحيرة،
نطلق النار على البط.
- أنخلينا : وبابلو؟
- مارغا : انحبس في المكتبة ليدرس. (تغلق الدفتر وتغترب
هلمسة) أكلت العمة ماتيلده؟
- أنخلينا : حاولت إقناعها. لكن، أنت تعرفينها هي لا
تزال عند فكرتها بأن الأفضل ألا نحدثه عن أمه
أبدأ.
- مارغا : من قبل كان ذلك ممكناً. لكنه يعلم الآن أن الأم
أكبر من مجرد كلمة منسية، يرد الآن أن يعلم
من كانت أمه. وليس من حقنا أن نظل ننكر عليه
حقه.
- أنخلينا : لا أظنّ انه خطر لك أن باستطاعتنا أن نقول
له الحقيقة!
- مارغا : هذا ما أحاول تجنبه تحديداً: إذ بإخفائها
سيرتاب بالأمر كيف سنبرر عدم بقاء أيّ شيء
بالييت خاصّ بها؟

- أنخلينا : هل عاد يسألك؟
مارغا : دائماً يحتاج إلى أن يمسك بيديه شيئاً كانت
لمسته هي يديها، تذكراً مهماً يكن صغيراً...
يجب أن تساعديني يا أنخلينا.
أنخلينا : قلبت كل الخزن والصناديق العتيقة.
مارغا : ألم تعثري على شيء؟
أنخلينا : أشياء صغيرة: صندوق ياباني، علبة موسيقى
وميدالية فيها صورة.
مارغا : صورتها؟
أنخلينا : صورتها معه حين كان في الرابعة من عمره.
مارغا : لكن هذا كنز. أيمكنني نقل ذلك لبابلو؟
أنخلينا : دون إذن ماتيئده؟
مارغا : تشجعي هذه المرأة لا يمكن أن تكوني على هذا
القدر من التواضع.
أنخلينا : ليس تواضعاً يا بنيتي في جوهره، هو راحة.
أنا خلقت لأطيع. وهذا أجلب للهدوء. أختي على
نقيضي، من تلك النساء اللواتي خلقن ليأمرن. ما
جري هو أن زواجها دام ثمانية أيام، ولم يفتح لها
الوقت لإبراز سيطرتها. (تسمع في الداخل صيحة
بابلو منادياً)
صياح : مار - غا!!!!

- مارغا : (تجيب بالطريقة ذاتها) با-بلوورو (سرعة-
ترافقها) هاتي كل شيء من فضلك.
- أنخلينا : وإذا علمت ماتيلده؟
- مارغا : اطمئني أنا المسؤولة. (تختفي السمة أنخلينا داخل
السلم وقت دخول بايلو من القسم الأول في الجانب
الأيسر يحمل كتاباً كبيراً وكتاباً آخرى أصغر منه، لكنه
مبتهج وضاحك كعادته، حوار سريع متألق النبرة
وكانهما يتحادثان من بعيد)
- مارغا وبايلو
- بايلو : أين كانت قائدتي خلال القرون الأربعين
الأخيرة؟
- مارغا : أجري في الجبل مع برناردو وفيرمين.
- بايلو : أكان الصيد وافرأ؟
- مارغا : الجرو اصطاد أرنباً وهو يجري.
- بايلو : ممتاز! عشر علامات للجرو. مسرورة؟
- مارغا : بل سعيدة. أدخلت في دمي هواء الغابة كله،
والتي جائعة جوعاً شرساً.
- بايلو : جيد جداً. أمنحك رتبة الشرف!
- مارغا : شكراً، يا معلّم. (يستلمان على بعضهما بصفق
الأيدي. الحوار راح يأخذ منحاه الطبيعي شيئاً فشيئاً)
وأنت؟

- بابلو : مكثت أدرس خمس ساعات متتاليات. امتلاً
رأسي وفقدت شهيتي كلها.
- مارغا : إذا، كل شيء يسير على ما يرام. كل واحد في
موقعه. ما هو جديدك الأخير؟
- بابلو : (واضعاً الكتب على المنضدة) كتابان جديدان وهذا
الدفتري اصطدته في مكتب المدير.
- مارغا : أمهم موضوعه؟
- بابلو : مثير، الميزانية العامة: (الدخل والنفقات)
- مارغا : أتعجبك الأرقام كثيراً؟
- بابلو : هي كالكلاب، أحياناً تعض، لكنها وفيّة دائماً.
لحظة: أنت علمتني الجمع أولاً، ثم الطرح بعده.
أليس كذلك؟
- مارغا : هذا هو النظام المتبع لماذا؟
- بابلو : لأن هذا الثعلب العجوز، كما يبدو، تعلم العكس
(يطوي الصفحة ويرمي بالكتاب على المنضدة)
سنواجهه يا رفيق.
- مارغا : والكتب الأخرى، ما شأنها؟
- بابلو : أخذت من كل شيء بطرف. أما ما لم أستطع
ختمه فهذه الرواية المضجرة للغاية. فهيّا تغيير
كبير في الأشخاص، لكن الحيل نفسها تتكرر

دائماً، وكذلك السرقات والجرائم..

مارغا : أية رواية؟

بابلو : هذه! "تاريخ العالم" أيعجبك التاريخ؟

مارغا : على شكل عادي. وأنت؟

بابلو : هو تضخم في الذاكرة، ولا شيء من الخيال.

لكن هذا الكتاب يختلف. لقد أمتعني حقاً.

مارغا : (تنظر إلى الكتاب) آه! "الحياة حلم"

بابلو : الآن فهمت لماذا كان أبي يدعوني أحياناً:

سيغسموندو: إنسان عظيم، سيغسموندو هذا. ما

رأيك؟ (يجلس على الكرسي، لكن بشكل معكوس)

أشاهدت هذه المسرحية ذات مرة؟

مارغا : ذات ليلة لا تنسى! كنت ما أزال طالبة.

بابلو : يطيب لي أن أذهب إلى المسرح معك، آخذاً

بذراعك وأرى الشوارع المضاءة والنوافير التي

تطلق الماء إلى الأعلى، لا بد من أن يكون ذلك

رائعاً!

مارغا : لا يزال الوقت مبكراً على هذا. تحتاج إلى

مزيد من التقدم.

بابلو : (ينهض مصتماً) ولم لا يكون هذه الساعة

نفسها؟

مارغا : رجال المدن شيء آخر، إنهم قادرون على

الضحك منك.

بابلو : يضحكون مني؟ ولم؟
مارغا : هناك يضحك المغفلون دائماً من الأذكىاء.
وهذا هو انتقامهم.

بابلو : لكنهم معي، عليهم أن يفكروا بالأمر مرتين.
أترين هذه القبضة؟ ستوجه إلى أول من يجرؤ
على ذلك.

مارغا : لهذا السبب نفسه، لا تستطيع الذهاب حتى
الآن.

بابلو : سئمت الانتظار. إذا كنت لا تريد الذهاب،
فسأذهب وحدي.

مارغا : اسمع يا بابلو. ألتق بي؟
بابلو : ثقة كاملة.

مارغا : إذاً، انتظر. أنا أطلب منك ذلك. (ترى العمة
أنخلينا عائدة) اليوم ستحصل على ما هو شيء
أهم من رؤية النوافير والشوراع المضاعة.

بابلو : ما هو؟

مارغا : العمة أنخلينا ستقول لك.
بابلو ومارغا وأنخلينا.

أنخلينا : إنها ذكريات من والدتك. هذا ما استطعت
العثور عليه. (ينظر بابلو إلى الأشياء بتفعل عميق

دون أن يجروا على لمسها)

بابلو : هذه الأشياء من والدي؟ هل أمسكتها بيديها؟
أنخلينا : هي أشياء قديمة لا قيمة لها. لكنها كانت تحبها
كثيرا.

بابلو : أي شيء هذا؟

أنخلينا : علبتها الموسيقية، لا تحتاج إلا أن تضغط هنا
(تطلق العلبة الموسيقية صوتا بلورياً طفولياً. يأخذها
بابلو بين يديه وينظر إليها مدهوشاً وهو يستمع)

بابلو : أكانت أمتي تسمع هذه الموسيقى؟

مارغا : حين كانت تشعر بالوحدة وهي تقرأ... وحين
كانت تدخل لإيقاظك.

بابلو : لكن هذا معجزة يا مارغا! ذلك كأني أسمعها
هي نفسها... كأني أراها أول مرة جالسة تفكر
وكتابها بيدها... (يضع باحترام عميق علبة
الموسيقى التي ظلت تطلق نغمها على المنضدة حتى
حلت ربطة الحبل) وهذا الشيء الآخر.

أنخلينا : شيء بسيط. لعبة يابانية من ذلك العصر يلمس
لولب تتطلق من العلبة الكبرى علبة أخرى
أصغر، ثم أخرى أصغر من الثانية وهكذا...
إنها لعبة حمقاء لم أفهمها أبداً.

مارغا : مؤكداً أنها اشترتها لك.

بابلو : وهذه الصورة؟ (يضع الصندوق) ومن هذه المرأة؟

أنخلينا : أمك. صورتها معك منذ عشرين عاماً.

بابلو : معي! انظري إليها يا مارغا! (يفرح يكاد يكون صراخاً) معاً، معاً! (يضغط بالصورة على صدره. تتبادل المراتان النظرات متأثرتين)

أنخلينا : أحب أن ندعك وحيداً؟

بابلو : نعم، من فضلك. أما مارغا، لا ومعذرة يا عمّتي. معها أشعر كأنني مع ذاتي. أفهمين؟

أنخلينا : أفهم، يا بني، أفهم. (تأهب للخروج)

بابلو : انتظري (يعانقها بقوة) شكراً يا عمّة أنخلينا، أنخليكا. أنخيلوتشا... يا ملاك!

أنخلينا : (مختنقة) كفى! لقد خنقتني... أيها المتوحش. (وهي خارجة) الوحش الحبيب! مارغا وبابلو.

بابلو : (بابلو يجلس ويتأمل الصورة. ويحاول أن يتنسم. أحس بالخجل إذ تبلّلت عيناه اللتان ينظفهما بيده) أنا أبله! ولا أدري ما جرى لي. أكاد لا أراها.

مارغا : ولا تبالي: خلال لحظة سترها على شكل أفضل. (تجلس إلى جانبه)

بابلو : لا أدري كيف أشرح الأمر لك. أنتِ ألفتِ

رؤية أمك على شكل تلقائي وبالعادة أما أنا
فكأنما ولدت للتو. ما لون عينيها؟

مارغا : زرقاوان!

بابلو : زرقاوان؟ (ينظر يلمعان إلى عيني مارغا ثم يرجع
النظر إلى الصورة. نوبة يكررها على طول المشهد) يا
للغربة! كنت أعتقد دائماً أن العينين الجميلتين
هما دائماً خضراوان!

مارغا : شكراً لك.

بابلو : زرقاوان!... لم أر أبداً عينين زرقاوين.
والشعر؟

مارغا : كستنائي فاتح.

بابلو : كشعرك.

مارغا : شعرها أطول وأغزر من شعري. تلك عادة
العصر.

بابلو : لكن شعرك يفوح برائحة الغابة.

مارغا : كنت أجري هذا المساء كله بين غابات
الصنوبر.

بابلو : ألمعنت النظر في يديها؟

مارشا : هما ناعمتان صغيرتان، كالحزف.

بابلو : ويداك أيضاً. هما بوسع يد واحدة من يدي. ألا
ترعنين لو قلت لك شيئاً؟

- مارغا : (تبتسم) لست بحاجة لتقول لي ذلك. هي أجمل مني بكثير.
- بابلو : أحقاً، لا يزعجك هذا؟
- مارغا : علي النقيض من ذلك. يفرحني أن أراك فخوراً بأمك.
- بابلو : وأنا؟ أبدو جميلاً في هذه الصورة؟
- مارغا : سحر خالص.
- بابلو : إذاً، لماذا تبتعدين عني في النهر؟ وأنا في الصورة عارٍ أيضاً عرياناً كاملاً.
- مارغا : الأمر مختلف، في الصورة، كان عمرك أربع سنوات.
- بابلو : آه، أهي مسألة زمن؟ في سن يصبح المرء غير أخلاقي؟
- مارغا : حسب الشخص... بعضهم في الحال... أنت لم تصبح بعد.
- بابلو : وأنت، أصبحت؟
- مارغا : أنا، لماذا؟
- بابلو : إذا كنا لا نستطيع التعري في النهر، وأنا لم أصبح بعد لا أخلاقياً... أهدنا يجب أن يكون لا أخلاقياً. أنت؟
- مارغا : لم يخطر ببالي هذا أبداً... لكنه ممكن.

بابلو : لا، هذا، لا، أجيبني بوضوح، أهو سؤال صعب جداً؟

مارغا : السؤال ليس صعباً. حين يتعلق الأمر بالأخلاق تكون الإجابات صعبة.

بابلو : لماذا؟

مارغا : لأننا نتكلم حتى الآن اللغة ذاتها، فكل ما أعجز عن فهمه، يبدو لك طبيعياً، والعكس صحيح.

بابلو : كلا! يا مارغا. هذا غير صحيح. ما يجري هو أنكم تحكون دائماً عن كلمات، بينما أتكلم أنا عن أشياء.

مارغا : ما الذي تسميه "أشياء"؟

بابلو : كل ما يستطيع المرء أن يفهمه لوحده دون أن يشرحه له أحد.

مارغا : مثلاً؟

بابلو : أولاً، هناك الأشياء الصغيرة. هذه اليد الدافئة، برد الشتاء، وقمر الليل. وهناك بعدئذ الشيطان الكبيران اللذان يجعلان المرء يرتعد: الموت والله.

مارغا : (تتظر إليه مدهوشة) أتعرف أن تقول ما هو الموت؟

بابلو : رأيته مراراً وتكراراً عن قرب. المرة الأولى

حين كنت في الثامنة من عمري. أتذكرين أني
حدثتك عن روسينا؟

مارغا
بابلو

: الطيبة التي كانت تفرّ إلى الغابة في الربيع؟
: ذات مساء كنت وحيداً، ورأيتها قادمة تجرّ
نفسها جرّاً، وفي خصرها بقعة حمراء، حاولت
أن أنظف تلك البقعة، لكنها كانت تنتظر إليّ
بعينين حزينتين وكأنها تقول: "لا تتعب نفسك يا
صغيري؛ لا جدوى من سعيك" واضطجعت
قرب النار تنتظر. وأحسست فجأة أن شيئاً بارداً
غامضاً يخترق الباب، وأن أمراً رهيباً سيحدث
أمامي دون أن أستطيع حياله شيئاً. وهكذا وقفت
ارتجف في إحدى الزوايا حتى أدركت بوضوح
أن عينيها لا تزالان هناك، لكن نظرتها لم تعد
موجودة ولما جاء والدي ولفظ كلمة "موت"، لم
أجد لها لزوماً، لأنني كنت أدركت معناه أفهمين
الآن.

مارغا
بابلو

: لا أدري... الموت سكونية تُرى وبرد يلمس.
أما الله...
: الأمر ذاته. أنا لا أستطيع فهم آلة طابعة دون
أن تشرحها لي. فهي جد معقدة. أما الموت
والله فهما، على النقيض، بسيطان للغاية.

مارغا : وهل اكتشفت الله وحدك أيضاً؟
بابلو : قد يكون مثل اكتشافك له. هو شيء آخر
طبيعي.

مارغا : لكن، ربما كنت سمعت بهذه الكلمة على الأقل.
بابلو : سمعت الكلمة. لكن ما قيمة الكلمات إذا كنت
لا تعرفين ما تحمله من معان؟ كان ذلك حين
عودتي من الصيد، وقد ابتعدت عن والدي
ووجدت نفسي ضائعاً في جبل مقفر. أكنت ذات
مرة وحيدة في الجبل وقت انفجار العاصفة؟
مارغا : أبداً.

بابلو : كان الليل يبدو أنه يحبس أنفاسه بانتظار ما لا
أدري. "وساد صمت عميق جداً، وسرت
قشعريرة من نقرتي حتى حوافر الحصان. حينئذ
أدركت كم أنا صغير، وكم أنا وحيد معزول
تماماً. ضغطت بياس على المهمازين لأهرب من
تلك الوحدة، لكن دون جدوى: فالحصان كان لا
يزال يرتجف دون أن يتحرك. وفجأة أحسست
أني لست وحيداً. بل إن أحداً ما كان يدنو مني
في العتمة وينادي بي من الأرض ويطوقني مع
الريح، وينظر إليّ من علياء النجوم. شيء أكبر
مني كثيراً، لكنه كان يريد أن يحل في داخلي

ليملأ وحدتي البشرية، لم أستطع مقاومة الخوف،
وصحت بالكلمة الوحيدة القادرة على نزعته مني:
"يا الله!" في تلك اللحظة انفجر الرعد كجواب
على صيحتي، وأضيء الليل كله بالبروق. حينئذ
أدركت ببساطة أن من كان معي هو الله، سمعت
قصير يمسك العلبة الموسيقية ويشرع بربط الحبل
تتلمه مارغا متفكرة. والتفت ببشاشة لماذا ظلت
تفكرين؟ أليس الأمر واضحاً؟

مارغا : نعم، يا بابلو، أنا لم أجده وبهذا الوضوح أبداً.
بابلو : إذاً، كفانا ثرثرة وهيا إلى العمل.
مارغا : ألا تزال لديك رغبة في العمل اليوم؟
بابلو : أنا؟ كلا، يا آنستي، كلا! بل أنت ستعملين
الآن. أنا سأخذ فرصة صغيرة. (يمسك بالصندوق
والسورة) بالإذن منك.

مارغا : ماذا ستعمل؟
بابلو : شيئاً هاماً جداً لم أستطع القيام به حتى الآن.
(ينسى) سألعب قليلاً مع والدتي.
مارغا : أتريد أن أنصرف؟
بابلو : كلا! ستبقىين من أجل تصحيح الدفاتر لكن،
أديري ظهرك ولا تنتظري خفية. وعد؟
مارغا : وعد. (بدأ الضوء يخفت بغضوبة، تجلس مارغا إلى

المنضدة مديرة ظهرها، وتمسك قلماً أحمر وتصيح،
 بابلو يجلس حسبما يروق له على الأرض، انتهى من
 ربط حبل العتبة، يضغط على الزر ويستمع إليها لحظة
 ثم يضعها أمامه. يسند عليها الصورة ويتأملها وهو
 يصفر من بين أسنانه للحن الموسيقي ثم يتفحص
 الصندوق. يرفعه إلى مستوى أذنه ويرجّه. وكطفل
 يبحث عن فتحة لعبة، غثر على اللوالب المخفية. من
 العتبة الكبرى خرجت لعبة أصغر فيها، ثم أخرى،
 فأخرى فأخرى. بابلو يصفر كل مرة بسرور أكبر
 لمهارته ثم أتى إلى صندوق صغير حميم وجد داخله
 رزمة من الرسائل مربوطة بشريط. خلال المشهد
 تتقاطع الأجوبة التالية دون أن ينظر أي منهما إلى
 الآخر)

مارغا : هل لي أن أطلب منك شيئاً؟
 بابلو : نعم، لكن دون أن تنظري. أي شيء؟
 مارغا : أن تكتب ما قصصته عليّ للتو عن الظبية
 والليل العاصف.
 بابلو : ولمَ تريدينه مكتوباً؟ ما دمت قد رويته لك.
 مارغا : من أجلي، يسرّني أن أحتفظ به.
 بابلو : سأكتبه. أوجد شيء آخر؟
 مارغا : نعم. تنبيه بسيط. ما عملته بأوروبا وأمريكا
 صفحنا عنه. ما كلمنا الله والموت، فاكتهما،
 رجاء، بحروف كبيرة. (بابلو لا يجيبها. ينظر

مدهوشاً إلى رزمة الرسائل) أسمعني؟ (بابلو يفتك الشريط) أسمعني، نعم أولاً؟ (بابلو ينظر إلى أول ظرف كالمفتون وقد اختفى صوته تقريباً)

بابلو : أديلانيدا! أديلانيدا! (يفتح ويفرأ) "عزيزتي أديلانيدا" (يتابع القراءة للحظة بصمت. يقلب رسالة فجأة باحثاً عن التوقيع، يشحب لونه بسمع تقريباً وهو يدمدم على شكل أصم) كلا! (ينظر إلى مطلع وخاتمة رسالة أخرى) غير ممكن. (ينهض بفكرة، داعماً الرسائل بين يديه المتشنجتين)

مارغا : (على شكل طبيعي. دون أن تلتفت) أجرى لك شيء؟ (صوت بابلو ينطلق متصاعداً من احتجاج أصم حتى صرخة حيوانية، بينما يمزق الرسائل تتفانها)

بابلو : لا! لا! لا!

مارغا : (تلتفت مذعورة) بابلو!

بابلو : لا يمكن أن يكون صحيحاً!

مارغا : بابلو، عزيزي. (تهرع نحوه دون أن تفهم)

بابلو : (بعدها يعنف) كلا! ابتعدي عني لا تقتربي مني أنت أيضاً!

مارغا : لكن، ماذا عملت لك؟

بابلو : لا تلمسيني!

مارغا : لا! هذا غير ممكن. (تتشبث به بإسفة) لا شك

أنها نوبة حمى. بأعلى ما تحب لا تنتظر إلي، هذه
النظرة! أنا مارغا. ألا تراني؟ أي أذى، يا دريو.
الحقته بك، فديتك روجي كلها؟ تكلم يا عزيزي،
تكلم (يصل بابلو إلى السيطرة على نفسه بجهد هائل)

مارغا : لكن، ماذا حدث لك فجأة؟

بابلو : لم يحدث شيء. مضى الأمر. دعيني. الآن،
أنا بحاجة للبقاء وحيداً. (يتجه صوب السلم)

مارغا : لا، لن أدعك هكذا. عليك أن تجيبني أولاً!

بابلو : (مشيراً بعينه إلى الرسائل الممزقة) إن كنت
معنية كثيراً فستجدين الجواب فيها. (يتجه نحو
السلم متعباً. مارغا راحة تجمع الرسائل وتضم القطع
الممزقة. يلتفت بابلو بسخرية مرة) آه! لقد نسيت
شكراً لك، لأنك علمتني القراءة هي ممتعة
للغاية! شكراً (مارغا تفهم الأمر الآن، وتصرخ راحة
وتنادي)

مارغا : بابلو...! بابلو...! ... (بابلو يصعد راحضاً. مارغا
تنتحب فوق الأرض. حلّ المساء والمشهد يغرق في
الظلمة. صمت يتخلله نسيج. خوليو يظهر في سحابة
الدهليز يتأملها لحظة)

خوليو : آنسة لوخان.. (مارغا لا تسمعه) آنسة لوخان!

مارغا : (ترفع رأسها) من أنت؟

خوليو : صديق مخلص. أو هكذا أمل على الأقل.

- ١٠٠ : (بخوف مفاجئ) هذا الصوت... من أنت؟ (تهرع
إلى شعل المصباح. تنظر إليه مشلولة القوى) خوليو!
- ١٠١ : بالطريقة التي نطقت بها اسمي، لا تبدو
المفاجأة سارة جداً. (يتقدم) ألا تزالين تحقدين
عليّ؟
- ١٠٢ : عما جئتم تبحثون؟
- ١٠٣ : آه والآن سنتخاطب بصيغ المجاملة كالغرباء!
- ١٠٤ : أجب! أستظنون تلاحقونني مدى الحياة؟
- ١٠٥ : أنا لا أسعى لملاحقة أحد.. إنني في بيتي.
- ١٠٦ : بيتكم هذا؟
- ١٠٧ : بيت عائلتي من جهة أم بابلو. أم أنك نسيت
اسمي؟
- ١٠٨ : خوليو رولدان... خوليو رولدان! (تراجع)
إذا... الأمر صحيح!
- ١٠٩ : اهذهني! من جهتي ما مضى مضى، ولا أحمل
شي نفسي أي شيء إزاءك. بل على العكس.
جئت تحديداً لأعرض عليك سكوتي بدافع
الصداقة.
- ١١٠ : وإذا رفضت العرض؟
- ١١١ : لا أنصحك بذلك. سيكون الأمر أسوأ في حالة
الدعوة.

- مارغا : سيان عندي. كنت أعلم أن هذا الأمر سينتهي بشكل أو آخر.
- خوليو : لتفاهم. لست بصدد أي شيء عاطفي إنه ببساطة، صفقة. أتريد أن تستمع إلي؟
- مارغا : تكلم! (تجلس وكذلك يفعل خوليو)
- خوليو : الصمت أحياناً كنز. ولو كنت ثرياً لقدّمته لك هدية.
- مارغا : لكنك رجل صفقات. وأتيت لتبيعي الصفقة. أليس كذلك؟
- خوليو : لا أملك مخرجاً آخر.
- مارغا : والتمن؟
- خوليو : رخيص جداً. بابلو لا يطيع أحداً طاعته لك. أنت علمته كتابة اسمه. وللوصول إلى ذلك اضطررت إلى جعله يوقع مئات المرات. وأسعى الآن للحصول على بعض التوقيعات الإضافية.
- مارغا : في ذيل بعض الوثائق التي تكتبها أنت.
- خوليو : ذكية جداً دائماً.
- مارغا : باختصار، سرقة قانونية. أليس كذلك؟
- خوليو : مادامت قانونية، لا يهمني الاسم.
- مارغا : (تنهض) أفكرت أنني لن أتردد لحظة واحدة

بأن أقبل بسبب الجبن؟ وأنت، الدون جوان
المحترف، أهذا كل ما تعلمته من النساء. ولكن،
من أيّ نساء!

خوليو : (ينهض هو أيضاً ببرود) لا ترفعي صوتك.

مارغا : اخرج من هذا البيت فوراً.

خوليو : أخرج بهذه الطريقة. مستحيل. غداً، سأستأنف
سفري. وإذا رفضت الاستماع إليّ، فإن أحداً ما
سيفعل ذلك نيابة عني.

مارغا : (مذعورة) أليديك القدرة على قول ذلك لبابلو؟

خوليو : لا يسرني ذلك لكن، إذا أجبرتني...

مارغا : لا، هذه الليلة، لا! ستكون قسوة بالنسبة. (تنتظر

باتجاه السلم يثقل تنوّل مسرعة) اسمع يا خوليو!
أيمكنني أن أطلب منك مهلة؟

خوليو : أنحقّق تقدماً بذلك؟

مارغا : تابع سفرك. أتعديني أنك سترحل هذه الليلة

دون أن تراه؟

خوليو : وبعدئذ؟

مارغا : بعدئذ.. سيكون ما تريد، لكن، هذه الليلة، لا،

هذه الليلة، لا.

خوليو : ألا تفكرين أنك تستطيعين خداعي كما

تخدعينه؟

- مارغا : أوجدتني أكذب خوفاً، ذات مرة؟
خوليو : حتى الآن، لا.
مارغا : إذا، كن مطمئناً حين تعود إلى هنا ستجدني
مستعدة للإجابة. أقسم لك!
خوليو : لأبأس . لكن، لا تنسى أن كل الأسفار ستنتهي
ذات يوم . (من العتبة) إلى اللقاء قريباً يا آنسة
لوخان. (ينحني ويخرج تجمع مارغا التذكارات
المبعثرة على عجل ينزل بابلو. يقف لحظة على السلم)
مارغا وبابلو.
بابلو : لماذا تجمعين هذه الأشياء؟
مارغا : سأحفظ بها.
بابلو : لا تتعبي نفسك في المدفأة ستلتهب جيداً.
مارغا : أتظن أن من حقاك الحكم على أمك دون أن
تعرفها؟
بابلو : كفى! عشت عشرين عاماً من دونها. وأستطيع
أن أتابع حياتي من دونها. (يسقط متهاكاً في مقعد
مارغا تقترب منه)
مارغا : أليس من الأفضل أن تستلقي؟ أنت منهك.
بابلو : ليست قواي هي التي تخذلني. أسوأ ما في
الأمر أنني لا أستطيع فهم شيء... أي شيء.
مارغا : أيمكنني مساعدتك؟

بابلو : لا أعتقد. حين علمتني هذه الأشياء المدنية، كانت تبدو لي سهلة في البدء. والآن أدركت فجأة أنني لا أفهم شيئاً ولن أفهم شيئاً أبداً.

مارغا : ما الذي لا تفهمه؟

بابلو : الآن، مثلاً: لما صعدت إلى غرفتي كان من الطبيعي أن أفكر بأمي. أليس كذلك؟ لكنني لم أستطع التفكير بها لحظة واحدة. حاولت أن أتخيل عينيها الزرقاوين وما كنت أرى سوى عيين خضراوين. وارتد التفكير بشعرها. والشيء الوحيد الذي شمته كان رائحة شعرك. لماذا؟ لماذا؟

مارغا : لا تبالي بالارتباط بي تذكر أننا سنفترق عن بعضنا ذات يوم.

بابلو : سبق أن قلت لي هذا أول مرة. ولا هذا الانفصال أستطيع تصوّره.

مارغا : عليك أن تتألف مع الفكرة. فكر أن هذه الليلة قد تكون الأخيرة.

بابلو : لا هذه الليلة ولا غيرها أظنّين أنني سأدعك تمضين؟

مارغا : لن تستطيع منعي لأنك لن تعرف متى أرحل. ببساطة، ستستيقظ ذات صباح وتناديني من جبل

إلى جبل، "مار-غا!!!" لكنّ مارغا لن تكون هنا.

بابلو : لكن، ما الذي تزعمينه؟ أهو تحية وداع؟

مارغا : بل هو تحذير قبل أن يحلّ ذلك اليوم. ألم تكن

سعيداً حتى هذه الساعة من دوني؟

بابلو : الأمر مختلف. قبل مجيئك كان العالم ملائ

بأشياء. والآن لا يوجد إلا شيء واحد يطوّقني

حزام من النور: مارغا، مارغا، مارغا!

مارغا : شكراً لك، لو اختُصرت حياتي في هذه اللحظة

وحدها، لكنت جديرة بأن أحيّاها لمجرد سماعي

هذه الكلمات. لكن، لا تسلّم زمام أمرك بإفراط

إلى امرأة. ألا يطيب لك أن تعود إلى الجبل؟

بابلو : فات الأوان! في الجبل كنت أحرّم من النوم

حين أكون جائعاً فقط، أو يؤلمني جرحي أو

يوقظني الخوف. والآن أنت جرحي الوحيد

وجوعي وخوفي.

مارغا : وهل أخيفك؟

بابلو : هذه الليلة، نعم، لأنها ليست ليلة كباقي الليالي.

ألا تحسّين أنها حتى برائحتها مختلفة؟

مارغا : إنه الخريف... وهي رائحة الأرض المبلولة.

بابلو : هذا لا يكفي، هي رائحة الأرض ورائحة

جلدك معاً. الرائحة التي شممتها أول مرة. لكن،

يوجد فيها اليوم شيء أعمق... شيء أكثر
غموضاً يتغلغل في داخلي كيوم الظبية أو يوم
البرق. (بصوت حميم وهو يذنو) ألا تحسّين به؟

مارغا : (مفتونة هي أيضاً) الآن نعم، وهو يثير خوفاً
أيضاً، لأنه لم يسبق لي أن عرفته أبداً.

بابلو : هذا يشبه إحساسي بأنني سأقع في حفرة
منصوبة ألقى حنفي فيها. ومع ذلك، أريد أن
أسقط! ولماذا هذه الليلة هي جدّ مختلفة عن
غيرها؟ لماذا كنت في اليوم الأول أنا الأقوى؟
لكنك اليوم تملكين القوة كلها.

مارغا : انج بنفسك مني يا بابلو! لا يزال أمامك فسحة
من الوقت.

بابلو : عبثاً تحاولين. فأنا لا أستطيع العودة إلى
الوراء. ولو استطعت فلن أعود. أنت التي
تعرفين كل شيء: ما الذي أحس به يضطرب
بأن واحد في روحي وفي جذر دمي؟

مارغا : لا أدري... عساه يكون ذات الإحساس الذي
يختلج في نفسي!

بابلو : أترتعث الكلمات في داخلك أيضاً قبل أن
تلفظها؟

مارغا : ترتعث أيضاً.

بابلو : إذاً، لا يوجد شيئان كبيران ذلك، ههناك شيء ثالث يجعل حجرة المرء تزداد

مارغا : نعم، يا بابلو، يوجد سر آخر، شيء بإحساسك بالله تقريباً، شيء بإحساسك بالموت قليلاً.

بابلو : قولي هذه الكلمة الثالثة. أريد سماعها دائماً!
مارغا : لا لزوم لذلك، يا عزيزتي، حين تكون الثالثة الثالثة صادقة فالأفضل أن يقال بهدوء ذلك. (تجذبه إليها بلطف ثم بهوى كامل، يبتعدان قليلاً قبل يسقط الستار ببطء)

النهاية

الفصل الثالث

المكان نفسه، قليل من الوقت بعد ذلك. ليل المسرح تضيقه
بغزاره كل الصبايح وبعض الشمعدانات. المائدة ملأى بصحون
الخزف والياور الناعمة. كل شيء يشير إلى أننا أمام حفلة عائلية
هامة.

الأولاد يتدنون ثياب الحفلة بمسحة متقشفة تتماشى
وبعض الحميرية، العتات تزدان بالمخامل الغامقة والمطرزات
الشاحبة، دون أن تلقدا أبداً نكهة العصر... ولا إختهما في
الملبس. المدخنة مشتعلة عند رفع الستار، يدخل إوسوبو من
الحديقة حاملاً دابة من الزجاجات، يضعها على منضدة صغيرة
متحركة قريبة من المدخنة. في الوقت نفسه تدخل الصة ماتيلده من
البعد الأمامي. نائب الأيسر حاملة صينية من اللحوم الباردة
المغمورة بالمصلصة والأفوايه. خلال الحوار تنتقل كالعصفور
مصلحة تأكل من مهية ومنظمة أغنية.

الليلة وإوسوبو.

ماتيلده : امل ألا تجد عقبات في القبول!

إوسوبو : لا اظن. خمر بورديو الأبيض اللحم البارد

والأحمر للمشوي كما جرت العادة في الأزمنة
القديمة (يسلمها رزمة من الشموع) من أجل
"التورته"

ماتيلده : والمدعوون أين انحشروا؟

إوسوبيو : يتجولون مع السيد رولدان في المزرعة.

ماتيلده : أفي هذه الساعة؟

إوسوبيو : هي ليلة مقمرة جميلة. على كل حال، إن لم
تخني ساقلي، سيكونون هنا خلال زمن قصير
ليحتموا من العاصفة.

ماتيلده : أليديك ميزان ضغط جوي في ساقك؟

إوسوبيو : بل روماتيزم مفصلي. وهو الشيء الوحيد
الذي خلفه لي والدي.

ماتيلده : (انتهت من عد الشموع) ثلاث وعشرون، أربع
وعشرون، خمس وعشرون. (تتهدد) خمس
وعشرون شمة! عام مضى تقريباً، ويبدو كأنه
نزل البارحة من الجبل كجرو والذئب. لكن،
أرأيت الآن كيف تليق به بزة "السموكنغ" وكأنه
كان يلبسها كل حياته؟

إوسوبيو : هذه أمور تنتقل بالوراثة. أكل شيء على ما
يرام؟

ماتيلده : تماماً. الشيء الوحيد الذي لا أستطيع هضمه

في هذه الوليمة هو المدعوون.

إوسوبيو : صبراً، يا سيدتي. بعد كل شيء هم أقاربه
الوحيدون. مهما كانوا بعيدين.

ماتيلده : لحسن الحظ أنهم بعيدون. لكنهم أولاً وآخرأ
من آل رولدان. هذا الغصن المتعفن يندس دائماً
في هذا البيت (تنظر إلى المائدة المتحركة وإلى كأس
من فضة فوقها) وهاتان الزجاجتان الفارغتان؟ من
شرب زجاجتين من الشمبانيا؟

إوسوبيو : السيد بابلو، كما افترض.

ماتيلده : بابلو يشرب؟ غير ممكن. أشربهما وحده؟

إوسوبيو : هو وابن خاله خوليو. منذ لحظة كانا هنا
فرحين، ضاحكين متعانقين.

ماتيلده : لكن بابلو ليس من عاداته أن يشرب يمكن أن
يكون هذا خطراً.

إوسوبيو : لا تبالي، رأسه صاح تماماً.

ماتيلده : لا أصدق مذ عاد ابن الخال خوليو، أسرقا في
العناق وفي الخروج معاً. وهذا الرجل جاء
يبحث عن شيء هنا، ولن يأتي منه خير.

إوسوبيو : هي شؤون شبابية! (تدخل العمة أنخلينا حاملة
صينية أخرى) أحتاجان شيئاً آخر؟

ماتيلده : لا نحتاج شيئاً. شكراً لك يا إوسوبيو (يخرج

اوسوبيو باتجاه الحديقة العسة ماتيلده تنظر مضومة
إلى الزجاجتين الفارغتين ثم ترفعهما. العسة أنخلينا
تضع الصينية، وتأخذ على شكل آلي يتناول كؤوس
وأغطية من الخزانة. ثقيل والغم باد عليها بوضوح
أكثر من أختها الآن. دون شك السبب أكثر جدية.
تجيب شاردة الذهن كصدي دون أن تسمع ما يقال
لها.)

ماتيلده وأنخلينا.

ماتيلده : إنه عيد ميلاده الأول! يذكرني بأيام زماننا
حين كنا نلبس في هذه المناسبات ثيابا طويلة.
أوضعت (التورته) على نار هادئة؟

أنخلينا : نعم، يا ماتيلده. إنها في القرن.

ماتيلده : لم تخلي القرن، أليس كذلك؟

أنخلينا : بلى، يا ماتيلده، أغلقته.

ماتيلده : أغلقته؟ إذا لا بد أنها تحترق.

أنخلينا : نعم يا ماتيلده، لا بد أنها تحترق.

ماتيلده : لكن أنخلينا، أنت نائمة أم أنك أصبت بالصمم
فجأة؟

أنخلينا : نعم، يا ماتيلده، فجأة.

ماتيلده : (تنظر إليها بذهول) أنخلينا! (تظل أنخلينا ساكنة
ونظرتها غائبة تقترب ماتيلده بحزم وتمسك بها من
كتفها وترغمها على الالتفاف) استيقظي وخلصيني

هل لي أن أعرف ماذا جرى لك هذه الليلة؟

أنخلينا : دعيني!

ماتيلده : كلا! انظري إليّ وأجيبني. ما الذي يجري هنا هذه الليلة؟

أنخلينا : اتركني، قلت لك! (تتخلص منها وتهرع إلى مقعد وقد أخفت وجهها وتنفجر بالبكاء تتبعها ماتيلده خائفة. وتنتقل إلى لهجة حميمة)

ماتيلده : آه! إذ أن الأمر خطير... بمن يتعلق؟ (ترجع إلى جانبها) بحياتك لا تفرعيني تكلمي.

أنخلينا : حلفت ألا أبوح بالسر إلى أحد. لكنني لا أستطيع السكوت لا أستطيع... مارغا سترحل هذه الليلة.

ماتيلده : سترحل؟ لماذا؟

أنخلينا : اتظنين أنني أعلم؟ دخلت غرفتها ظناً مني أنها غير موجودة. لكنني وجدتتها هناك تبكي في الظلام وقد حزمت أمتعتها.

ماتيلده : دون أي تفسير؟

أنخلينا : دون تفسير فقط قالت، لي أن رحيلها سيكون في صالح بابلو. وحلفتني ألا أخبر به أحد حتى تصبح بعيدة. يجب أن نعمل شيئاً يا ماتيلده. لا ينبغي لمارغا أن ترحل هكذا.

ماتيلده : (تنهض متفكرّة) لا بأس! يبدو لي أنني بدأت أفهم كثيراً من الأمور.

أنخلينا : أكنت تلحظين شيئاً؟

ماتيلده : منذ شهرين تقريباً مارغا لم تعد مارغا ذاتها. أراها حزينة وشاحبة دائماً. وعيناها أكبر من ذي قبل.

أنخلينا : أعاني من مرض؟

ماتيلده : أتذكرين ذلك اليوم حين كنا نتناول طعام الغداء وهوت دون إحساس فوق المنضدة؟

أنخلينا : لكنه كان حادثاً عابراً مجرد دوار بسيط.

ماتيلده : ليست المرة الأولى التي يعرض لها هذا الدوار. ولا المرة الأولى التي تبكي فيها في الخفاء لاجئة إلى إحدى الزوايا حين تتصرف فتاة هذا التصرف ويمكن أن يوجد لديها شيء أخطر من مجرد مرض.

أنخلينا : (تفهم الأمر فجأة، وتقف على قدميها بقلزة واحدة) أيعقل؟

ماتيلده : نعم، يا أنخلينا، نعم. وأسوأ ما في الأمر أن ذلك ليس مسؤوليتها. وإنما مسؤوليتنا نحن لأننا لم نطقن له في الوقت الملائم.

أنخلينا : السيد رولدان أشار إلى ذلك منذ اليوم الأول.

أتذكركين؟ "لديكما هنا برميل من البارود
واجتهدتما في جلب عود تقاب قريباً منه" والآن
من المذنب عود التقاب أم البرميل؟

ماتيلده : وهذا ما يثير غضبي أكثر من أي شيء آخر
أيمكن لآل رولدان أن يكونوا في هذه الحياة
اللعينة دائماً على صواب؟ (يسمع بابلو وخوليو
قادمين وهما يقفان، وسط الضحك أغنية صغيرة
خشنة.)

أنخلينا : ها هما، ماذا نفعل يا ماتيلده؟

ماتيلده : في هذه اللحظة، علينا أن نقوم بعبء هذه
الوليمة السعيدة على أفضل ما يمكن. لكن، قولي
لمارغا ألا تترك البيت حتى أمرها، ولتنزل
للمشاركة في الحفل، وليكن ما يكون، (تصعد
أنخلينا السلم) والآن سنرى إن بقي شيء من هذه
التورطة اللعينة، أم أنها احترقت كما يحترق
دمي. (تخرج من البعد الأول للجانب الأيسر. يدخل
بابلو وخوليو من الدهليز ممسكين بذراعي بعضهما
وكأنهما يتسائدان. بابلو مشعث الشعر وربطة عنقه
محلولة. لا شك أنه منتش دون أن يبلغ مرحلة السكر.
لكن سيكون من الصعب أن نعرف إن كانت هذه التهجئة
الخمرية حقيقة أم أنه يخفي شيئاً آخر تحتها. خوليو،
على نقبضه، معاد على الشرب ويرى بوضوح أن
فرحة المزيف لا يعدو كونه خدعة يحمل محفظة

وثائق. غناؤهما بصاحبه حركات وتصفيق مضحك:

بابلو وخوليو

الاثنان معاً: العم توماسون

يحب البقدونس

في الشتاء وفي نيسان.

لكن بشرط:

ديبيرين، دين، دين

ديبيرين، دين، دون

الشرط:

أن يكون البقدونس

خطم خنوص^(٨) برّي

بابلو : (ضحك وربت) أنت عظيم يا خوليو. تصوّر أنني

عشت حتى الآن دون أن أعلم ما معنى صديق

عناق، يا صديقي! (يتعاقان)

خوليو : شكراً، يا بابلو، كنت واثقاً أننا سنكون خير

أصدقاء في العالم.

بابلو : النساء هن اللواتي يجهدن في إبعادنا عن

بعضنا. أنفهم؟ هن لا يعجبهن في الحقيقة شيء

إلا البكاء. لكن الرجال لا يكون. الرجال

(٨) - صغير الخنزير

يشربون وحين يتعبون من الشرب يغنون وبعد
أن يتعبوا من الغناء يعودوا إلى الشرب. المرأة
حيوان عاطفي. والرجل حيوان ذكي. عناق
آخر!

خوليو : عناق آخر! وكأس أخرى من الشمبانيا؟
بابلو : دائماً لكن، أنت، لا. (يتنزع الزجاجاة منه) أنت
تفتحها برقة زائدة. يلذ لي أن أسمعها تهدر بهدير
كبير. تشيش - بام! هكذا، هدير مع زبد، زبد
غزير (يناوله كأساً) أيوجد شيء في العالم أفضل
من صديق؟

خوليو : من صديقين!
بابلو : إذآ، نخب الصديقين!
خوليو : بصحتك! (يشربان، يترنح قليلاً، ويسقط في مقعد)
بابلو : اللعنة على الشمبانيا! ما أقوى فعلها! إنها
ترخي ركبتيك وكأنك قضيت نهارك كله على
متن الحصان (ينهض ينسحب على جبهته في احذلة
خاطفة من الحدى) صحيح! الشمبانيا مثل
الحصان: نار في العروق وزبد في الفم. إنها
حصان مكم بزجاجاة!

خوليو : ما أحس قولك! أنت رجل عظيم بحق.
بابلو : أحقاً ما تقول؟ عناق آخر يا أخي!

خوليو : أخوان مدى الحياة! (يسقط بابلو في المقعد مرة أخرى خوليو يمدّ يده إلى محفظته) والآن، أتريد أن تسمعني لحظة واحدة؟

بابلو : عدنا إلى الصفقات؟ أسترغمني على العمل في هذه الساعات؟

خوليو : هي مجرد تواقع. أما العمل فأتولاه أنا: الأسياد يكتفون بوضع تواقعهم. (يمدّ له قلماً) هنا!

بابلو : أفي هذه الساعة؟ سيكون ذلك صعباً. أولاً عليّ أن أتعلّم.

خوليو : لا تقل لي إنك لا تعرف أن توقع!

بابلو : نصف معرفة. معلمتي الغبية علمتني الكتابة باليد اليمنى فقط. وهذه الأوراق الهامة ينبغي أن توقع باليسرى.

خوليو : باليسرى؟ من قال لك هذه السخافة؟

بابلو : هذا ما أراه هنا. العام الماضي انفجرت فشكة البارود في يد والدي اليمنى. ولم يعد باستطاعته أن يستعملها. هذا كان في تشرين الأول... ومع ذلك، أجد تواقع له في أشهر تشرين الثاني، وكانون الأول وكانون الثاني... فبأية يد وقع؟ (ينهمض) أنت لا تزال شاباً حديث السن ولا تفهم

في هذه الأمور. كأس أخرى؟

خوليو : (ممتع الوجه) كلا! (يحفظ الوثائق)

بابلو : أنت لطيف. صار لون وجهك أبيض كالورق.

والآن، تبين أن من لا يقدر على الشرب هو أنت
(يقني)

لكن بشرط

ديبيرين، دين، دين.

ديبيرين، دين، دون.

بابلو وخوليو وماتيلده.

ماتيلده : (تدخل بحزم) كفى يا بابلو! أريدك أن

تستقبل أحداً وأنت على هذا الشكل؟

اصعد واغسل رأسك بالماء البارد. وسرح

شعرك واصلح ربطة عنقك

بابلو : سأصعد، ولا موجب للغضب. وشكراً يا

خوليو. أقسم لك إنك جعلتني أقضي أمتع لحظة

في حياتي (وهو على السلم) ولا تنسى - إيه إن

الوثائق الهامة توقع باليسرى... باليسرى يا أخ.

لكن بشرط

ديبيرين دين دين

ديبيرين دين دون

الشرط

ماتيلده وخوليو ثم المدعوون

ماتيلده : ألا تخجل من أن تُسكر شاباً بانساً لم يشرب من قبل أبداً؟

خوليو : لا تهتمّي. يبدو لي أن رأس بابلو أصفى من رأسك ورأسي

ماتيلده : ماذا كنت تقترح عليه؟ أنتم -آل رولدان- لا تخطون خطوة دون أن تجدوا لها مبرراً. وهو دائماً مبرر ملوث.

خوليو : دون فضائح يا سيدتي. ماذا تظن بنا هؤلاء المدعوون؟ (في الواقع، أخذ المدعوون يفدون من الحديقة، يرافقهـم رولدان الأب. الدكتور أوغوستوبيريث رولدان، فرع بعيد من الفرع الذي تسميه ماتيلده، غير شرعي. هو أستاذ في الأنثروبولوجيا، تبدو واضحة عليه عيوب مهنة التعليم الجامعي. وعضو شرف في كل أكاديميات المنطقة التي ليس لديها شيء هام تعله. فيه حذقة الأستاذ الجامعي الذي لا يتساقش. وهو بالتأكيد مملوء بالشهادات والميداليات. دونيا لولودي بيريث رولدان، التي يبدو لها أكثر تميزاً أو شباباً دعوتها باسم لولو، هي زوجة الأنثروبولوجي اللامع كما يروق لأمثال هذه السيدات المغرمات بكلمات التفضيم. الابنة فيفي لها ضحكة أرنب. وفيها بلاهة فائقة تمتاز بها الفتيات المنكبات بكل ثقتهن بحثاً عن رجل وصيده. إنها غبية محترقة بفساد مضاعف لكونها فوق ذلك جميلة)

لولو : عزيزتي ماتيلده. كنا نطوف في أرجاء
المزرعة. إنها رائعة!

ماتيلده : شكراً!

رولدان : لكنّ ما رأيتموه لا يُعدّ شيئاً. تخيلي الغابات
والقطعان الكبيرة، ثمّ الجبل بمحصوله الوافر من
الصيد...

فنيقي : حلم حقيقي!

الأستاذ : والشاب؟

ماتيلده : سينزل فوراً. هو طائش قليلاً. وساعد له قهوة
ثقيلة. أتعذرونني؟

لولو : على راحتك

ماتيلده : خوليو سيقوم بواجب الخدمة. يبدو أنه خبير
في تقديم المشروبات. لحظة. (تخرج من الجانب
الأيسر من القسم الأول)

خوليو : خمر شيريش، أم أوبورتو؟

لولو : ألا توجد خمور فرنسية؟

خوليو : آنجو أبيض؟

لولو : ما دام فرنسياً، لا يهتمي أياً كان نوعه. شكراً
جزياً.^(٩) (خوليو يصب المشروب)

(٩) - بالفرنسية لي الأصل.

خوليو : وأنت يا رفيقي؟
فيفي : من المشروبات، أفضل (فيرجينيا) بشعر ملاك.
(تضحك من ظرفها الذاتي) خي! خي! (تقترب من
المائدة وتتناول شظيرة)

خوليو : وأنت يا دكتور؟
الأستاذ : أي شيء. الشيء الوحيد الذي أربغ فيه، هو.
التعرف بأسرع وقت على فتى الغابة هذا.

خوليو : (يناوله كأساً) ألغاية علمية؟
الأستاذ : تخيل! سيكون فصلاً مثيراً في كتابي عن
المتوحش الحالي والإنسان البدائي. حالة لو رآها
ايمرسون وروسو لحقق قلباهما لها من السعادة.
رولدان : لا تتوهم كثيراً! لعل سعيك كان ممكناً قبل
عام. لكن بابلو الآن، ليس إلا متوحشاً غطت
عليه الثقافة.

الأستاذ : هكذا يبدو لغير المختصين، لكن دعوني
أفحصه كأنتروبولوجي. وسترون كيف تبرز من
تحت هذا الصباغ العلامات المميزة للغاية.

خوليو : أيها مثلاً؟
الأستاذ : العلامات الخالدة: الولع بالصيد البري
والنهري. والحرب والميل إلى تردد المقاطع؛
حسب الألوان الزاهية والأشياء اللامعة. خاصة

هذه اللذة المحمومة التي يحس بها الأطفال وهم
يعذبون الحيوانات.

هيفي : إنني أموت من الفضول لرؤيته. لكنه يثير
خوفي. يقال، لما رأى امرأة أول مرة هجم عليها
وعضتها.

لولو : ماذا تريدان أحسن من ذلك يا غيئة. بابلو ذو
ثراء فاحش. وحسب رأي والدك، كان العض
أولاً، ثم اخترعت القيلة.

رولدان : هو الآن، جد مختلف ربما صار أخطر من ذي
قبل، لكنه وديع، حتى أنه يبتسم ابتسامة طفل
هادئ.

الأستاذ : يوجد، يوجد أيضاً المتوحش الساذج والباسم.
النموذج البولينيزي.

هيفي : على كل حال، ما ينتقل بالدم لا يُنسى. أنا
واقفة من أنه يصعد ليلاً إلى الأشجار ويعوي.

الأستاذ : أحسنت جداً، يا بنيّتي، هذا ما كان يفعله
الإنسان البدائي قبل اكتشاف النار.

لولو : لا تفزعني، من فضلك. أنتظن حقاً، أن من
سيمثل أماننا غوريلا تلبس "سموكنغ"

الأستاذ : أوشيء أشد إثارة: عودة إلى عصر الكهوف.

رولدان : أبدو لك هذا مسلياً؟

الأستاذ : بل ساحراً! مؤسف أن علمه أبوه الكلام! ولولا ذلك لكان أنموذجاً عجباً.

خوليو : أنا لا يعني الجانب العلمي. ما يحمله بابلو في دمه قد يكون إرثاً أشد أهمية بكثير.

لولو : ارث؟ ما هو

خوليو : بالنسبة لنا هو الأفضل. (يترك الكلمات تتساقط) أنسيتم أن الأب عاش عشرين عاماً على هامش القانون... وأنه مات مجنوناً؟

فيفي : (مذعورة) أيعقل؟ لن يقترب مني. أسمعتم؟ لا يقترب مني، أو أصرخ.

لولو : تفعلين ما أمرك به. ولو دعاك للخروج معاً إلى الحديقة فستخرجين.

فيفي : في الظلام مع هذا البربري؟

لولو : في الظلام كلهم سواء. وستكونين ودودة معه. أتسمعين؟ وإذا كان لا بد من التضحية... آي! معذرة. أنا لا أدري ما أقول.

رولدان : (يحس باقتراجه) سكوت! (تنزل العمة أنخلينا).

المذكورون وأنخلينا ثم بابلو وماتيلده.

لولو : عزيزتي أنخلينا. في هذه اللحظة. كنا نتحدث عن ابن أخيك فيفي يقتلها الشوق لتتعرف عليه. إنه الشبان!

- أنخيلنا** : إذا، لن تنتظر طويلاً. ها هو نازل. (في السلم يظهر بابلو حسن الهدام، وشعره مسرّح جيداً. يقف في مصطبة السلم مضطرباً قليلاً أمام المدعوتين الذين وقفوا بدورهم. مبهورين وهم ينظرون إليه. غريزياً، تتراجع النساء خطوة واحدة)
- بابلو** : سادتي! مساء الخير جميعاً. (يهبط درجتين أخريين. النساء يرجعن خطوة أخرى. عادوا جميعاً فوقفوا ساكنين. صمت يفرضه الموقف... تدخل العمّة ماتيلده وتتوقف هي أيضاً هنيهة)
- ماتيلده** : يبدو أنكم أصبتم بالخرس جميعاً. اقترب يا بني. ساقدمك إليهم. (يتقدم بابلو بأدب): دونيا لولودي بيريث رولدان.
- لولو** : عفواً: العمّة لولو، من فضلك.
- بابلو** : تشرّفت يا سيّدة لولو. (يتجّه بتصميم لمعاتفتها)
- ماتيلده** : لا، ليس كذلك السيدات لا يُعانقن، وإنما تُقبل أيديهن.
- بابلو** : معذرة. (يقبل يدها على شكل طبيعي) تحت قدميك، يا سيدتي.
- لولو** : شكراً. هذا لطف منك. أهنئك بعيد ميلادك الخامس والعشرين. أليس كذلك.
- بابلو** : نعم، الخامس والعشرون.
- لولو** : (تنتهّد) آي! هي أجمل سنّي العمر. كنت في

مثل هذا السن منذ عشر سنوات، لكن، في النهاية
لا بد من التسليم بالواقع. ابنتي فيفي!

بابلو : (للصمة ماتيلده) وهذه، عليّ أن أقبل يدها أيضاً؟
لولو : هذه، لا! أولاً وأخيراً أنتما ابنا خؤولة يمكنك
أن تقبل جبهتها إن شئت.

فيفي : (تنتهز معلقة صرخة صغيرة) كلا!
بابلو : يبدو أن القبلّة على الجبهة لا تروق لها أبداً.
على الأرجح، تفضلها في مكان آخر.
ماتيلده : مد لها يدك، ببساطة.

بابلو : تشرفت (بشدّ على يدها بقوة تخنق صرخة صغيرة
أخرى ثم تداعب أصابعها متألّمة)
أنخلينا : اعذريه. لديه قوة فائضة، ولم يتعلّم حتى الآن
كيف يضبطها.

بابلو : إذّا، اسمك فيفي. ما أندره! ولماذا؟
فيفي : حسن! في الواقع، اسمي خوسيفينا؛ لكن ماما
تقول إن فيفي أقوى. خي! خي!

لولو : فيفي في غاية الاهتمام بك. وهي لا تتعرف
التحدث عن شيء آخر سواك. بعدئذ ستخرجان
معاً إلى الحديقة. أحقاً يا (ثينا)؟

فيفي : نعم، ماما.
ماتيلده : البروفسور أغستوييريث دي رولدان. أستاذ

فيما لا أدري.

الأستاذ : في الأنثروبولوجيا، يا سيدتي.

ماتيلده : أستاذ في الأنثروبولوجيا، يا سيدتي.

ماتيلده : أستاذ في الأنثروبولوجيا التي لا زلت لا أعرف ما هي؛ وعضو فيما لا أدري من أكاديميات.

الأستاذ : مسرور جداً بك، يا فتى.

بابلو : أعانقك يا أستاذ. (يعانقه بقوة أكبر مما يفتره عادة أستاذ في الأنثروبولوجيا)

أنخلينا : لا تضغط عليه، وإلا حطمت أضلاعه. (تقوم الصتان بخدمة المدعوين مقدمتين الخمر والصحون. بعضهم واقف وبعضهم جالس مستريح. لكن، لا أحد على المائدة)

بابلو : إذًا، أنتروبولوجيا. وهذي ماذا تعني؟

الأستاذ : بسيطة جداً: إنها العلم الذي يُعنى بالدراسة الشاملة للإنسان.

بابلو : ولا شيء غير ذلك؟ حقاً بسيطة للغاية!

لولو : الدكتور أستاذ لامع. نشر كتباً، وفي بيته دهليز فيه أربعون قفصاً فيها أربعون قرداً.

بابلو : أربعون قفصاً مع أربعين قرداً لدراسة الإنسان.

الأستاذ : بالضبط لن أقول كما يقال قديماً: إنها أسلافنا.
لكنها أقاربنا البؤساء.

لولو : سيهمك كثيراً رأي زوجي حول القروء. فهو
يحبسها في دهليز، ويجري عليها تجارب في
المختبر ويحقنها بكل أنواع الحقن ليرى ردود
فعلها.

بابلو : آه، نعم؟ المثير في هذه الحالة سيكون معرفة
ماتنكر به القروء حول زوجك.

الأستاذ : (يضحك دون فتاعة كبيرة) حسن جداً. أرايتم هذه
السذاجة اللذيذة؟ إنه بولينيزي حقيقي.

بابلو : ويسكي، يا فيفي؟

فيفي : ما تريدونه، يا ابن العمّة. أوي، معذرة!
أخطيك دون مجاملة، دون إرادة مني، فقد
وقعت من قلبي موقعاً حسناً! خي! خي!

ماتيلده : فيفي ألقت إليك بكلمة غزل، أليس لديك جواب
عليها؟

بابلو : (ناظراً إلى الأب) رشيقة كالقردة! وأنت يا لولو؟

لولو : أنا لا أريد شيئاً. ميرسي بيان، مون شيري!

بابلو : هل أنت فرنسية؟

لولو : هي مسألة ذوق. الإسبانية شديدة العنف. أما
الفرنسية، فعلى العكس، ما أحسن وقعها حتى في

أسوأ ألفاظها!

الأستاذ : أسمح لي أن أطرح عليك أسئلة؟ هو مجرد فضول علمي.

بابلو : تحت أمرك يا دكتور.

الأستاذ : (يضع صحنه، ويقلب دفترًا صغيرًا) ألا يزعجك أن أكتب ملاحظات؟

بابلو : من جهتي، أنا مسرور. اسأل. اسأل. (بينما يجيب بهدوء، يصب لنفسه ويسكي، ثم ينقر لقمة من هنا ولقمة من هناك، ولقمة من هناك، واضعاً إحدى رجليه على المنضدة)

الأستاذ : ماهي رياضتك المفضلة؟

بابلو : ماذا يمكن أن تكون؟ صيد البر والنهر.

الأستاذ : (ظافراً) ألم أقل ذلك؟ إنها هوايات الإنسان البدائي: عنف الغزو. (يسجل). وأنا واثق من أن الهواية الأخرى في الأساس هي الحرب.

بابلو : آه! هذا غير صحيح. ما أنا إلا متوحش مسكين. أما الحرب فيستأثر بها المتحضرون.

الأستاذ : كلامك في محله، أيها الشاب.

بابلو : شكراً لك يا دكتور.

الأستاذ : أتعجبك الألوان القوية؟

بابلو : كل ما هو قوي يعجبني.

- الأستاذ : والأشياء اللامعة؟
- بابلو : تسحرني.
- الأستاذ : كنت واثقاً من ذلك. (يسجل) ومن الأشياء اللامعة: أيها تحب؟ العقود الزجاجة... العدسات؟
- بابلو : (على شكل طبيعي) النجوم وعيون النساء.
- أنخلينا : (تفيض فخرًا) سجل، يا أستاذ، سجل!
- لولو : أسمعت يا فيفي؟ أليس فانتاً؟
- فيفي : إنه فانتن، متى نخرج إلى الحديقة؟
- الأستاذ : بعدئذ، يا نينا، الآن، أنا بحاجة إليه؛ قل لي أي الكلمات تعجبك أكثر، الطويلة أم القصيرة؟
- بابلو : القصيرة.
- الأستاذ : كنت أقسمت على هذا! (يسجل) مع ميل إلى تكرار المقاطع. أليس كذلك؟
- بابلو : لم أفهم.
- الأستاذ : أعني كالأطفال الذين يسمّون ينبوعاً: "غلو-غلو" وجرساً "تان-تان"
- بابلو : كلا! لم أسمع بهذا إلا هذه الليلة: "نعم: ما-ما-كلا، في-في-نعم: لو-لو"
- ماتيلده : سجل، يا أستاذ، سجل.
- لولو : (تنهض مهتة) هذه فضاظة!

- خوليو : (يهرع إلى التدخل) مهلك يا سيدتي لا ينبغي أن تأخذني الأمر هذا المأخذ.
- رولدان : أليس من الأفضل ترك هذا الإستجواب، وتناول العشاء بهدوء؟
- الأستاذ : اهدأ، اهدأ... الشاب أجاب ببراعة.
- لؤلؤ : بل قال ذلك بقصد كامل. أتدعه يشتمنا؟
- فيفي : (تنهض أيضاً) هيا بنا، يا أبي. العربة مكشوفة، والجنائني يقول إنها على وشك أن تمطر.
- بابلو : نعم، يبدو لي أن عاصفة ستهب الليلة: (يرمي، وكأنه يلعب، بسكين كانت في يده. السكين تنغرز مرتجة في المنضدة)
- الأستاذ : هل لكم أن تعملوا خيراً فتجلسوا جميعاً؟
- رولدان : خير لك أن تدعه وشأنه، يا أستاذ. هذه نصيحة.
- الأستاذ : سؤال واحد فقط. وهو الأخير والأدق. لكن، أتعدني بالأ تغضب؟
- بابلو : (يحاول السيطرة على نفسه بشكل ملحوظ) أنا هادئ تمام الهدوء. قل (عاد المدعوون للجلوس. تسود لحظة صمت وترقب في السكون تسمع الصة أنخلينا تهدئ أعصابها في "غابات فيينا")
- أنخلينا • ترا-رام ترا-رام... بام... بام.

- بابلو : اتركي شتراوس، يا عمتي. قل. قل.
- الأستاذ : أنت لا ريب، تشعر بمحبة كبيرة لجيادك
وكلابك!
- بابلو : أنا مغرم بها.
- الأستاذ : بالطبع، إنها مفيدة لك. لكن، ألا تحس في
قرارة نفسك، أحياناً بميل الأطفال لتعذيب
الحيوانات بقسوة؟
- بابلو : أنا أعذب الحيوانات؟ أبداً. وها أنت ترى: حتى
أسمح لبعضها أن تلقى عليّ أسئلة، وتكتب
ملاحظات.
- الأستاذ : (شاحباً) أينبغي أن أفسر هذه الكلمات على أنها
إهانة؟
- بابلو : آه! أتريدها أكثر وضوحاً؟ إذاً، تابع يا أستاذ،
تابع!
- ماتيلده : (تنهض مذعورة) لا يا بني، لا. بهذا تجاوزت
الحدود.
- أنخلينا : (تنهض بدورها في تمرد لا يصدق على أختها البكر)
اسكتي أنت! كلّ له بكيله يا بابلو، كلّ له. (تتفجر
الفضيحة. كلهم وقوف. وتتراكم التعليقات)
- لولو : هذا لا يسكت عليه.
- رولدان : اهدؤوا يا سادة. إنه عشاء عائلي.

لولو : أطلب منك اعتذار على الفور.
فيفي : عجباً يا أبي! حانت الساعة التي يبدأ فيها بالعواء.

خوليو : لكن، أنتبهت لما قمت به؟
الأستاذ : (محاولاً فرض سيطرته) اهدؤوا، يا أصدقاء.
باسم العلم اسكتوا جميعاً!

لولو : أتعرض نفسك للخطر؟
الأستاذ : قلت: اسكتوا. ما تهم نوبة من الغضب؟
فالغضب هو ببساطة تفريغ للأدرينالين.

بابلو : (يُستثار كل مرة أكثر) ما أروع هذا العلم!
فإنسان يبدل حياته في سبيل شيء جميل... أو
يشيد كاتدرائية... أو يمجن بالحب... كل ذلك
ليس شيئاً، أيها السادة. هو مجرد تفريغ
للأدرينالين. وبأي شيء يكافح الأدرينالين، يا
أستاذ؟

الأستاذ : بالأنسولين، يا فتى. وإذا كان هناك خطر،
فالبسكّر.

بابلو : إذأ، قد نجونا بجلودنا. السكر للرجال الأحرار
والأقوياء! السكر للكاتدرائيات والشعوب! مستقبل
العالم يتوقف على السكر! (على صيحات بابلو،
تظهر مارغا في السلم، مرتدية ثوب حفلة. تتأمل

بدهشة نهاية المشهد، وتهرع صوبه محاولة تهدئته)
المذكورون ومارغا.

مارغا : بابلو! عزيزي بابلو! اهدأ... اهدأ، من أجل
مصلحتك!

بابلو : انظري هنا إلى ناس عالمك. أ إلى هذه
القاذورات تريد أن تقوديني؟

مارغا : لكن، ماذا صنعت حتى دفعتموه إلى هذا
الوضع؟

بابلو : انظري إليهم: يبدون رجالاً ونساء. لكن أحقاً
هم كذلك. كلا! هم دمي من الخرف. فرقة
للبيداء، وفرقة للضحك وثلاثة للتحية. (يؤدي
التحية بحركات مهرج إيطالي) بولجور موسيو،
بونسوار مدام!

مارغا : لا أفهم ما جرى هنا أبداً. لكن، انسحبوا
جميعاً، أرجوكم!

بابلو : سيكون أفضل... أمر مخجل!

بابلو : (يوقلهم) انتبهوا إلي! الم تأتوا إلى السيرك
لنتمتعوا برؤية الإنسان البهيمة؟ إذا تشجعوا!
الحفلة ستبدأ عما قريب. لكن البهيمة هي التي
ستقود الحفلة الآن! (يتناول جرساً صغيراً من
الصوان وهو ينادي صارخاً) إوسوبيو! إوسوبيو!

مارغا : (تتشبث به معانقة) بأعلى ما تحب يا بابلو!
(يعطها بعنف ويهزّ الجرس مقلداً أصوات وحركات
مهرج في المعرض)

بابلو : افلتييني! ادخلوا، يا سادة، ادخلوا. هذه الليلة

عندنا مجموعة من (النمر)

(مشيراً إليهم واحداً لواحد)

الأستاذ اللامع

لا فكرة واحدة لديه.

إلا من الكتب حواليه

(دقة جرس)

الأم المزوجة

من الداخل قوادة

ومن الخارج محترمة

(دقة جرس)

الأميرة الصغيرة فيفي

أنذهب إلى الحديقة؟ خي!خي!

أتريدن القمر؟ خي!خي!

أتريدن عريساً؟ آي. سي! سي!

(دقة جرس)

والآن! إليكم التالية:

رولدان: المدير

رولدان: المحامي والمستشار

رولدان: المزور

ادخلوا يا ستادة! ادخلوا لتروا قصة علي بابا
الجميلة والأربعين من آل رولدان!

خوليو : (متقدماً) كفى يا بابلو، ولا كلمة أخرى!

بابلو : (يدق الجرس ب إشارة تحدّ) والآن، حان الوقت!
أخيراً، عثرنا على رجل هنا! عجلّوا! ألا ترون
إنني بحاجة إلى رجل يجيبي؟ فوراً! (يتقدم خوليو
خطوة، مارغا تعترضه)

مارغا : قف عندك! في هذه اللحظة، أنا الوحيدة القادرة
على التحدّث إليه!

رولدان : دعه! هو خارج عن طوره. (يتنهد مع الأب)

بابلو : للأسف! كنت أظن أنني سأعثر على رجل هنا.
لكنه كان إنذاراً كاذباً. انظري إليهم يا مارغا!
كلهم دمي من الخرق والكرتون. لكنهم لن
يجزّوني إلى عالمهم السكري.

(يعود هينادي صارخاً) إوسوبيو! إوسوبيو!

المذكورون وإوسوبيو.

إوسوبيو : (يظهر لحظة من باب الحديقة) سيدي..؟

بابلو : أخرج لي حصانين فوراً! (يخرج إوسوبيو)
وأنتم اخرجوا. وإذا وجدتم هنا بعد نزولي،

- سأطردكم بالسياط! أريد بيتي نظيفاً!
(يتجه صوب السلم وهو ينزع بزة "السموكينغ")
اخرجوا من هنا، أيتها القاذورات!
اخرجوا... (يصعد مهرولاً)
مارغا : أسفة لهذا المشهد، يا سادة! وأنا أعتذر إليكم
نيابة عنه.
لولو : بعد فوات الأوان بكثير، أهنئك على هذا
التلميذ: هيا بنا يا أوغستو!
فيفي : ما كان ينبغي لنا أن نأتي إلى بيت المجازين
هذا!
رولان : كان لا بد أن يحدث، ما حدث ذات يوم. إنه
إرث من الأب.
خوليو : سجّل يا دكتور: نعم، هذه فكرة جديدة
بالاهتمام.
ماتيلده : الخبثا خطوكم، لما أردتم أن تسخروا منه.
أنخلينا : اعذرنا. من المؤكد أنه شرب وهو غير معتاد
على الشراب.
الأستاذ : من العبث الاعتذار. في حال وجود بهيمة من
هذا النوع في بيت، يحجر عليها. هيا بنا.
(يأخذون بالخروج)
مارغا : شتيحيهم يا ماتيلده، وكذلك أنت يا أنخلينا.

دعوني معه لوحدي. (يخرجون جميعاً وسط احتجاج وصيحات استنكار تختلط ببعضها. مارغا تنتظر لحظة حتى رأتهم قد خرجوا ثم تهرب صوت السلم. خوليو الذي ظل متحجباً يسدّ عليها الطريق) مارغا وخوليو.

خوليو : لحظة! أولاً، يوجد أمر علينا أن نحله أنت وأنا
 مارغا : ولماذا؟ لم يعد يهمني شيء مما قد تقوله لي.
 خوليو : وما يمكنني أن أقوله له؟
 مارغا : ولا هذا أيضاً. إذا كانت هي الرسالة التي
 تنتصر بها، فقد أخطأت اللعبة.
 خوليو : أتكرين أنك لست مغرمة بهذا الرجل؟
 مارغا : بروحي ودمي كليهما معاً!
 خوليو : أولاً تخشين من فقدانه؟ أم أنك تحسبين، أنني
 سأسكت كما في المرة السابقة؟
 مارغا : لست بحاجة إلى أن تقول شيئاً. كل ما ينبغي
 لبابلو أن يعرفه، سأقوله له فوراً.
 خوليو : لا أصدقك. قلت لي أيضاً إنك غير قادرة على
 الكذب. فماذا عملت كل هذا الوقت؟
 مارغا : شيئاً لم أعمله أبداً حتى الآن: أن أكون سعيدة!
 خوليو : يمكنك أن تظلي سعيدة، إن أردت. أولاً،
 فالأهل المعطى لك ينتهي هذه الليلة.

- مارغا : أعرف ذلك. كنت أنتظره بخوف يوماً فيوماً.
لكن، كان جميلاً جداً أن أغمض عيني وأطيل
مدى كل دقيقة حلوة... كطفل فقير يقضم قليلاً
قليلاً كسرة من الخبز الطري!
- خوليو : وغداً؟
- مارغا : الغد لا يهتمي. وعلى فقدان هذا الخبز أنا
معتادة .
- خوليو : فكروي بالأمر جيداً. وإذا رفضت مساعدتي
يبقى أمامي طريق واحد فقط.. ويمكنني أن ألحق
ببابلو ضرراً أسوأ مما تتخيلين.
- مارغا : أسوأ من أن تفرق بيننا إلى الأبد؟
- خوليو : أسوأ بكثير. هذه النوبة من الغضب الجنوني لا
تدع مجالاً للشك. الأستاذ يمكن أن يكون شاهداً
ممتازاً أمام المحاكم.
- مارغا : (تنتهق مذعورة) ماذا تعني بقولك؟
- خوليو : أعد ما تفكرين به تماماً.
- مارغا : لا!
- خوليو : بعد دسرين عاماً قضاها بصحبة أب مجنون.
أترين من الصعب الحجر على رجل يتحدث إلى
الطيور ويرى الله في البروق.
- مارغا : كلا! هذا ما لن تحصل عليه ما دامت فيّ قدرة

على الصراخ!

خوليو : ولم لا تتكرر معه قصة الأب؟ ألم تتكرر معك قصة الأم؟

مارغا : سافلي! (ترفع يدها متحفزة للكلمة على فمه. يوقفها بقوة ويسيطر عليها حتى يكاد يعانقها)

خوليو : الحل بيدك. قرري يا مارغا! قرري الآن (يظهر بابلو في السلم، لابساً حذاء الركوب ويرتدي سترته، وعند رؤيته لهما هكذا يهبط بقفزة واحدة) مارغا وخوليو وبابلو.

بابلو : أنت لا تزال هنا؟ وتضع يديك الملوّنتين على هذه المرأة؟ (يمسك بسبيخ المدفأة الحديدي، ويتقدم مهدداً) وما هذا الشيء الذي يجب على مارغا أن تقررته؟ تكلم!

مارغا : كلا، يا بابلو! بحياتك!

بابلو : تكلم، أقول لك!

خوليو : ما أنا الذي يجب أن يتكلم. وإنما هي. أليس صحيحاً يا مارغا؟

مارغا : نعم، يا خوليو. أنا سأقول لك، لكن، اخرج أنت، قبل أن يفوتنا الوقت جميعاً.

خوليو : استمع إليها جيداً. إنها قصة قديمة قليلاً. لكنها سنهسك كثيراً. وداعاً (يخرج)

مارغا وبابلو.

بابلو : لماذا حميت عن هذا الرجل بجسمك؟
مارغا : ليس من أجله، وإنما من أجلك. لأنني رأيتك
تحمل الموت بين عينيك.

بابلو : وهذه القصة القديمة الهامة جداً؟

مارغا : استمع إليّ يا بابلو! أقسم لك إنني أبذل حياتي
لأجنبك الضرر الذي قد تلقاه مني. لكنني لا أريد
أن تبقى بيننا كذبة واحدة، ولا صمت. هذا
الرجل كان عشيقتي ذات يوم. (يترنّج بابلو كمن
يتلقى لكمة. يسقط سبخ الحديد من يديه يتأخر رد فعله
لحظة وكأنه لا يستطيع أن يفهم)

بابلو : ماذا قلت؟ لا... مستحيل أن أكون سمعت
جيداً.

مارغا : أفهم موقفك يا عزيزتي. وأنا يبدو لي صعباً
أيضاً. لكن هذا الرجل الذي لا يثير فيّ إلا
الاحتقار... هذا الرجل كان عشيقتي.

بابلو : (متجهماً) لا، يا مارغا! قللي إن الشمس لن
تطلع غداً... قللي إن العالم سينفجر في هذه
اللحظة. سأصدق كل ما تقولين إلا هذا!

مارغا : ماذا يفيد السكوت؟ فلا بد من أن تعرف ذات
يوم. والأفضل أن أقوله لك أنا فعلى الأقل يكون

أوضح.

بابلو : إذا، الأمر صحيح؟ أنت التي كنت لا أستطيع أن أقبلها دون أن أرتعد من رأسي إلى أخه. صدمي! أنت القديسة، الوحيدة... أنت أيضاً؟

مارغا : نعم يا عزيزتي. لسوء الحظ أنا أيضاً.

بابلو : وتجريين على قول ذلك؟ وتواجهيني ناظرة إليّ!

مارغا :- لا أجد ما يدعوني لأغضّ بصري. يؤلمني كما يؤلمك، لكنني لا أشعر أنني مذنبه. لذلك لا أطلب منك الصفح.

بابلو : لا بأس! (يتحدث دون أن ينظر إليها) إذا، لست بحاجة إلى حصانين، حصان واحد يكفي.

مارغا : كان ذلك منذ سنين، حين كنت لا أزال طالبة وأعيش وحدة خائفة.

بابلو : (بتشنج) كفى! أطلبت منك توضيحاً؟

مارغا : هو ليس توضيحاً وإنما وداع.

بابلو : بإمكانني أن أقره عليك، عيون زرق أم خضر. أديلائيذا! أم مارغا ما هي النتيجة؟ كلكن سواء في العمل لتدمير الرجل.

مارغا : أيمنك الاستماع إليّ لحظة واحدة؟

بابلو : ولاي شيء؟ كل ما بيننا قيل وأنتهى. وها هو

الباب دونك!

مارغا : لست بحاجة لتطردني بالسياط كما يُطرد
الكلب. لقد حزمت أمتعتي.

بابلو : ماذا تنتظرين إذا؟

مارغا : أريد فقط أن أقول لك وداعاً. لكن دون أحقاد؛
وأضع يدي في يدك.

بابلو : لا تضيعي وقتك سدى. أسرعي، خوليو لا
يزال غير بعيد من هنا! وما زلت تستطيعين
اللاحاق به.

مارغا : (ترد مجروحة) هذا لن يكون. ابتعد عني إن
كنت غير قادر على الفهم. لكن، ليس من حقك
أن تشتمني.

بابلو : اخرجي، قلت لك، ألم تسمعي؟ أريد بيتي
نظيفاً.

مارغا : (بقوة متمسكة) أولاً، عليك أن تستمع لي
باحترام دون صراخ، ودون سياط. لأنك في هذه
اللحظة أصغر مني بما لا يقاس. أنت صغير جداً
تثير الشفقة فيّ يا بابلو الشفقة والخجل.

بابلو : إذاً، أنا من يجب عليه أن يخجل؟

مارغا : نعم، أنت! الرجل القوي، الرجل الحر، الرجل
الطاهر! ... كل ما كان يثير إعجابي بك دمرته

في هذه اللحظة. فماذا تفيدك قوتك الحيوانية؟
لتحطيم امرأة بانسة! ماذا تفيدك حريتك؟ لتتفي
حريتي! وطهرتك المشهور، أين هو؟ انظر ما
أنت عليه الآن: في أبشع صورة، نصف متوحش
ونصف دمية بكل الغرائز التي جلبتها من الجبل
وكل المساويء الحمقاء التي اكتسبتها هنا.

بابلو : هذا ما صنعتته مني. يمكنك أن تكوني فخورة
بعمالك.

مارغا : هو الشيء الوحيد الذي نطقت به صواباً.
أردت أن أهيك روحاً كبيرة بحجم قوتك. لم
أعرف صنعها. كنت أحزن إخفاق في حياتي.
على كل حال، إن وجد شخص هنا مدين لي فهو
أنت.

بابلو : (بقسوة) أنا لا أريد أن أكون مديناً بشيء لأحد.
إن كنت تظنين بوجود حساب معلق مرّي على
الإدارة.

مارغا : ماكنت أتوقع هذا. إنها ضربة خسيصة، لا تليق
بك. لكن، إن أردت إلحاق الأذى بي حتى
النهاية، فلم تعمل إلا القليل بعد. ولما لا تأمر
تفتيش أمتعتي كما يصنع بالخادومات السارقات؟
انظر إن كنت أخفيت شيئاً؟ هل عددت جواهر
العائلة والآنية الفضية؟

بابلو : لا يهتمي أن تحمليه معك. لقد تعودت أن يسرقني الجميع.

مارغا : أحقاً؟ إذاً، عدّ قطرات دمك لترى إن كان ينقص منها شيء، لأنني أحمل خير ما في بيتك. أحمل طفلاً!

بابلو : (يلتفت بعنف) طفل؟ طفل مني...؟
مارغا : بأي حقّ تسميه طفلك؟ أنت لم تضع فيه إلا الغريزة. أما الإرادة فقد وضعتها أنا؛ وهي الشيء الوحيد الذي أملكه، ولا يستطيع أحد أن يسلبنيها. وشكراً لك لأجله! (تهم بالخروج. يسد بابلو عليها الطريق)

بابلو : قفي عندك! أتظنين أنك ستجذبييني إليك بهذا الرباط؟

مارغا : دعني أمر!

بابلو : كلا! لن تخرجي الآن حتى تضعيه. بعد ذلك اذهبي حيث شئت. لكن سترحلين وحدك. (يعدها بعنف) والقصّة تعيد نفسها: أنتِ إلى عالم العرائس والدمى، وأنا وابني إلى الجبل.

مارغا : (بنشوة الحمى) هذا لن يحصل أبداً. ابني سيكون أكبر عمل في حياتي، بكل الجانب الحسن فيك، والجانب الحسن فيّ. لن يكون حيواناً ولا دمية.

سيكون إنساناً بالأبعاد الصحيحة للإنسان
أتسمعني؟ وأخيراً، أريد أن أكون أم إنسان
حقيقي إنسان كامل... إنسان! (ترتخي ركبتيها...
يسندها يابلو)

يابلو : مارغا..! مارغا...! (مارغا يفثني عليها، يحملها
بين ذراعيه ويضعها في مقعد قرب المدفأة) لم أكن
أدري ما أقول. (يرجع عند قدميها. ويقبل يديها) ما
كنت أستطيع تقبل فكرة أن يلمس رجل آخر
شعرة واحدة من شعرك الذي كان غايتي
الوحيدة. أفريقي يا مارغا! انظري إليّ باحتقار،
لكن، دعيني أرى عينيك. اشتميني إن شئت،
لكن، دعيني أسمع صوتك! مارغا!... مارغا...!
مارغا! (مارغا تظل ساكنة. تطفأ الأضواء كلها فجأة
ما عدا شمعانين، وانعكاس النار. بية هواء تحرك
الستائر. أخذ يابلو يحس بالخوف الحيواني من
اللامرئي الذي زرع طفولته في الجبل) لكن، ماذا
يعني هذا؟ هاتان اليدان الساكنتان... هاتان
العينان الخاليتان من النظر... أي برد تسبّل هنا
في الظلام! (ينهض مرتعداً ويثف إزاءها ليغطيها
بجسده) لا: لا للموت. أبذل حياتي كلها من أجل
لحظة واحدة من حياتها. أو نموت معاً! لكن. لا
تتركني وحيداً مرة أخرى، لأنني سأقتل نفسي

هنا، إلى جانبها! لن أكون وحيداً بعد أن تعرّفت
عليها. لن أكون وحيداً أبداً. (حينئذ ينفجر رعد،
ويخلق برق خاطف من الحديقة، بابلو يقف مبهوراً
إزاء ومضة الضوء) شكراً، يا الله... شكراً.
(مارغا تعود إلى وعيها ببطء)

مارغا : بابلو، عزيزي... (بابلو يهرع مرة أخرى عند
فدسيها)

بابلو : أنا هنان يا مارغا... أنا معك دائماً.

مارغا : لكن، لا تتركني على هذا الوضع... أنا لا
أقوى على شيء. أحس كأنني أموت.

بابلو : لا تخافي لن يجرؤ الموت على الاقتراب منك،
لأن الحياة تسري الآن في داخلك. الله معنا...
وهذه الكلمة التي لم تقولها لي أبداً!

مارغا : (تضمه بعنف لطيف إلى حضنها وتداعب رأسه
المهزوم) الحب... الحب... الحب. (استدار)

ختام.



الفهرس

٣.....	نبذة عن حياة أليخاندرو كاسونا
٧.....	شخص المـسرحية
٩.....	مقدمة
١٧.....	الفصل الأول
٧٠.....	الفصل الثاني
١٠٩.....	الفصل الثالث



رقم الايداع في مكتبة الأسد الوطنية،

الكلمة الثالثة : مسرحية في ثلاثة فصول / تأليف أليخان دور
كاسونا؛ ترجمة علي أشقر - دمشق اتحاد
الكتاب العرب، ١٩٩٧ - ١٤٩ ص؛ ٢٠ سم.

١- ٨٦٢ س ك اس ك
٢- العنوان
٢- كاسونا
٤- أشقر

ع / ٩٧ / ١٢ / ٢٠٩٣
مكتبة الأسد





هذا الكتاب

مسرحية مترجمة عن الاسبانية تتناول أحداثها كلمات
ثلاثة الله، الموت، الحب.
وتبرز تأثر مؤلفها بالفكر العربي الإسلامي في الأندلس
وبرسالة حي بن يقظان وأنه من خلال الفطرة والطبيعة
يمكن الوصول إلى الحقيقة.

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية



0189177

تمت النسخة ١٢٥٠ هـ
١٢٥٠ هـ في أقطار الوطن العربي

مطبعة اتحاد الكتاب العرب
دمشق